السَّنة التاسعةُ والستُّون بعد المئة

فيها في أوَّلها خرج المهديُّ من بغدادَ يريد ماسَبَذان، واستخلف الربيعَ الحاجبَ على بغداد، وسببُ خروجه أنَّه رأى تقديمَ هارونَ على موسى، فأَرسل إلى موسى وهو بجُرْجان يستدعيه إلى بغدادَ وقد علم بذلك، فامتنع، فأَرسل إليه بعضَ الموالي فلم يُجِب، فسار المهديُّ يريده، فمات في طريقه.

وحدُّ ماسَبَذان من باهندف إلى الماهكي إلى القَرْمِيسين إلى حُلْوان، هذا كلُّه يسمَّى ماسَبَذان، وكان موسى الهادي بجُرْجان، فهلك المهديُّ بقريةٍ من قُرى ماسَبَذان.

البابُ الرابع في ذِكْر موسى الهادي إلى الله أبي محمد

وُلد بالرَّيِّ سنةَ ستٍّ وأربعين ومئة، وبويع بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أبوه، وهو يومُ الجُمُعة، ثانيَ عشرين المحرَّم، وهو ابنُ أربعٍ وعشرين سنة، وكان مقيماً بجُرْجانَ يحارب أهلَ طَبَرستان.

وكان مع المهدي ـ لَمَّا مات ـ ولدُه هارونُ ومولاه الربيعُ ويحيى بنُ خالد، فاجتمع الموالي والقوَّاد وعمرُ بن بزيعٍ ونُصيرٌ والمفضَّل وأَشاروا على هارونَ بأن يرجعَ إلى بغدادَ ويحملَ المهديَّ معه؛ فإنه متى علم الجندُ بموته شَغَبوا وطلبوا أرزاقَهم، فقال هارون: ادعُوا لي أَبي يحيى بنَ خالد، وكان المهديُّ لما ولَّى ابنَه هارونَ من الأَنبار إلى إفريقيةَ فوَّض أمورَ البلاد إلى يحيى بنِ خالد، فكان عند هارونَ بمنزلة الوالد، فلمَّا حضر يحيى عند هارونَ قال له: إنَّ الموالي والقوَّادَ قد أشاروا بأن يُحملَ أميرُ المؤمنين إلى بغداد، وذكروا كذا وكذا، فقال يحيى: ليس هذا برأي، قال: ولِمَ؟ قال: لأنَّه أمر لا يخفى، وربما تعلَّقوا بمَحْمِله إذا سار وشغبوا وطلبوا رزقَ ثلاثِ سنينَ وأكثروا، ولكن أرى أَن يوارَى هاهنا، وتوجِّهَ نُصيراً الوصيفَ بالخاتَم والقضيبِ والتعزية والتهنئةِ إلى أمير المؤمنين الهادي على البريد؛ فإنَّ الجندَ لا ينكرون ذلك، وتُعطيَ الجندَ كلَّ واحدٍ مئتين مئتين، وتناديَ فيهم بالقُفول، فإذا قبضوا العطاءَ لم يبقَ لهم همَّة سوى أوطانِهم وأهاليهم، ففعل هارونُ ذلك، وتقدَّموا إلى بغدادَ وتأخَّر هارون، ولما علموا

ببغدادَ بموت المهديِّ شغبوا وطلبوا من الرَّبيع الحاجبِ أرزاقَهم، فاعتذر، فأَحرقوا بابَه وأَطلقوا الحبوس، وكان نائبَ المهديِّ ببغداد، وقدم هارونُ بغداد، فطلب الجندُ أرزاقَهم، فبعثت الخَيْزُرانُ إلى الرَّبيع، فدخل عليها، فأَمَّا يحيى فلم يدخل؛ لعلمه بشدَّة غَيرة موسى، وأَشار عليها الربيعُ بالإنفاق في الجند لسنتين، فقبلتْ رأيَه، فسكتوا. وقيل: إنَّما أَنفق فيهم رزقَ ثمانيةَ عشَرَ شهراً، وذلك قبل قدومِ هارون، فلمَّا قدم هارونُ أخذ البَيعةَ لأخيه موسى، وضبط أمورَ بغداد، وبلغ الهادي دخولُ الربيعِ على الخَيزران، فعزَّ عليه، وكتب إلى الربيع يتهدَّده بالقتل، وكتب إلى يحيى يشكره ويأمره أن يستمرَّ على حاله في أمر أخيه هارون.

واجتمع الربيعُ بيحيى بنِ خالد وكان بينهما مودَّة، فأَخبره بكتاب موسى إليه وقال: لا صبرَ لي على القتل وجَرِّ الحديد، فقال: أرى أن تبعث ابنَك الفضلَ يستقبله بالهدايا والأَلطاف، فإني أرجو أن تُكفى شرَّه، فبعث ابنَه بالهدايا، ومع هذا فإنَّه أَيقن بالهلاك، وكتب وصيَّته وأَوصى إلى يحيى، فقال: لا أحبُّ أن أنفردَ بشيء، وأرى أن يكونَ معي الفضلُ وأمُّ الفضل، فأَجابه الربيع إلى ذلك.

وأما نُصيرٌ الوصيفُ فإنه وصل إلى جُرجانَ بالخاتَم والبَيعة والقضيب، فسار الهادي من فوره ذلك على خَيل البريد، فتلقَّاه الفضلُ بالهدايا إلى هَمَذان، فأَدناه وقرَّبه، وسأل الربيع فقال: كيف مولاي؟ وأَظهر [أنه] إنَّما نقم عليه لكونه فرَّط في الأموال، ولم يُمكِنه أن يُظهِرَ أن ذلك لأجل اجتماعِ الربيع بالخَيْزُران، فلمَّا قرب من بغدادَ استقبله الربيع، وعاتبه على إخراج الأموال، فقال: يا أميرَ المؤمنين، شغب الجندُ وخفتُ على دار الخلافة، فقبل عذرَه وولَّاه الوزارةَ مكانَ عُبيدِ الله[1] بنِ زياد بنِ أبي ليلى، وكانت موافاةُ الهادي إلى بغدادَ عاشرَ صَفَر، وكان خروجُه من جُرجانَ في العشرين من المحرَّم، ولا يُعرف خليفةٌ ركب خيلَ البريدِ سواه، فقال شاعر[2]: [من السريع]

لَـمَّـا أتـتْ خـيـرَ بـنـي هـاشـمٍ ... خـلافـةُ اللهِ بـجُـرْجـانِ

(١) في (خ): عبد الله. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ١٨٩، والمنتظم ٨/ ٣٠٦.

(٢) هو سلم بن عمرو الخاسر، كما في الأغاني ١٩/ ٢٨٥، ومعجم الأدباء ١١/ ٢٤٠.

شَمَّر للحرب[١] سَرَابيلَه بـرأيٍ لا غُمْرٍ ولا وانِ

وخرج لتلقِّيه هارونُ أخوه والأشرافُ ووجوهُ الناس، ونزل بالخُلد، ثم جلس للتَّعزية والتهنئة، فأنشده مروانُ بن أبي حفصةَ وقال[٢] : [من الطويل]

لقد أصبحتْ تختال في كلِّ بلدةٍ بقبر أميرِ المؤمنين المقابرُ

طَوَى طَوْدَ عزٍّ هاشميٍّ لمدَّة وأشرفَ طودَ عزَّةِ الدهرِ قادرُ[٣]

ولَمَّا جلس الهادي في مستقرِّ الخلافةِ واستقامت له الأمورُ، جدَّ في طلب الزَّنادقة، وكان أبوه قد وصَّاه فقال: إن أَفضى إليك هذا الأمرُ فتجرَّدْ لهذه العصابةِ أصحابِ ماني الزِّنديق؛ فإنها فرقةٌ تدعو الناسَ إلى ظاهرٍ حسن، كاجتناب الفواحشِ والزُّهد في الدنيا والعملِ للآخرة، ثم يخرجون من هذا إلى تحريم اللُّحوم، ثم إلى عبادة اثنين: النُّور والظُّلمة، ثم إلى نكاح الأمهاتِ والبناتِ والأَخوات، وسَرِقةِ الأطفال من الطُّرقات، فجرِّدْ فيهم السيفَ وتقرَّبْ إلى الله بقتلهم. فكان أوَّلُ ما شرع فيه طَلَبَهم، ونصب ألفَ جِذعٍ ببغداد، وصلب مَن قَدَرَ عليه منهم، وكتب إلى الآفاق بذلك، وكان فيمن قتل عليُّ بن يَقطين، وذُكر عنه أنه حجَّ فرأى الناسَ في الطَّواف حول الكعبةِ فقال: ما أَشبهَهم ببقرٍ تدرس في البَيدر، فقال العلاءُ بن الحدادِ يخاطب الخليفة: [من السريع]

أيا[٤] أمينَ اللهِ في خلقه ووارثَ الكعبةِ والمنبرِ

ماذا ترى في رجلٍ كافرٍ يشبِّه الكعبةَ بالبَيدر

ويجعل الناسَ إذا ما سَعَوا حُمْراً تدوس البُرَّ في الدَّوْسر

وقتل الهادي من بني هاشمٍ يعقوبَ بن الفضلِ بن عبد الرحمن بن عبَّاس بن ربيعةَ بن الحارثِ بن عبد المطَّلب، وكان المهديُّ قد بلغه عن يعقوبَ وابنٍ لداودَ بن عليِّ بن عبدِ الله بن عباس أنَّهما زنديقان، فخلا بهما في مجلسٍ متفرِّقَين، وأَقرَّا له بالزندقة، وقال له يعقوبُ بن الفضل: أمَّا أنا فأُقرُّ بها بيني وبينك سرًّا، ولو قرضتَ لحمي

(١) في المصدرين: للحزم.

(٢) ديوانه ص٤٨.

(٣) البيت الثاني ليس في الديوان، ولم أجده في غيره من المصادر.

(٤) في (خ): يا. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ١٩٠.

بالمقاريض ما أُقرُّ بها ظاهراً. فقال له: ويلك لو كُشفت لك السماوات وكان الأمرُ كما تقول، لكنتَ حقيقاً أن تغضبَ لمحمدٍ ﷺ، فلولاه مَن كنتَ من الناس؟! أَمَا واللهِ لولا أنِّي جعلتُ عليَّ عهدَ اللهِ تعالى إنْ أنا وليت هذا الأمرَ ألَّا أقتلَ هاشميًّا لَقتلتك. ثم قال كما سنذكره.

وكان المهديُّ قد عهد إلى الهادي: أَقسمتُ عليك إنْ وليتَ هذا الأمرَ بعدي ألَّا تناظرَهما ساعةً واحدة. وحبسهما المهدي، فمات ابنُ داودَ بن عليٍّ في الحبس قبل وفاةِ المهدي، وأما يعقوبُ فعاش محبوساً حتى مات المهدي. وقدم الهادي من جُرْجان، فذكر وصيةَ أبيه، فأرسل إلى يعقوبَ مَن ألقى على وجهه فراشاً وغمَّه حتى مات وانتفخ، فأُلقي في دجلة[١].

وكان ليعقوبَ بنِ الفضل أولاد، فمنهم فاطمة، فلمَّا مات أبوها اعترفت بأنَّها حاملٌ منه، وقالت: أَكرهني، فبعث بها الهادي إلى رَيطةَ بنتِ أبي العباس، فرأتها مخضوبةً مكحَّلة، فقالت لها: فهبْ أنكِ كنت مكرَهة، فما بالُ الخِضاب والكُحل! ولعنتْها، فماتت فَزَعاً. وقيل: إنَّما دخلت فاطمةُ وخديجة زوجةُ الفضل على الهادي، فضربهما على رؤوسهما فماتتا.

وفيها خرج الحسينُ بن عليِّ بن الحسنِ[٢] بن الحسن [بن الحسن] بن عليٍّ عليه السلام، فقُتل بفَخّ، اسم مكان.

وفيها هلك الربيعُ الحاجب.

وحجَّ بالناس سليمانُ بن أبي جعفرٍ المنصور، وكان على المدينة عمرُ بن عبدِ العزيز العُمَري، وعلى مكةَ والطائفِ عبيدُ الله بن قُثَم، وعلى اليمن إبراهيمُ بن سَلْم[٣] بنِ قتيبة، وعلى البحرين سويدٌ الخراساني، وعلى الكوفة موسى بنُ عيسى، وعلى البصرة محمدُ بن سليمان، وعلى خراسانَ والبلادِ الشرقية جماعةٌ من الموالي.

---

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ١٩١، والمنتظم ٨/ ٣١٠ أنه دفن.

(٢) في (خ): الحسين. والمثبت من المصادر. انظر تاريخ الطبري ٨/ ١٩٢، والمنتظم ٨/ ٣١٠، والكامل ٦/ ٩٠، وتاريخ الإسلام ٤/ ٢٨٣، والبداية والنهاية ١٣/ ٥٥٣، وما يرد بين حاصرتين منها.

(٣) في (خ): سليمان. والمثبت من المصادر.

فصل وفيها توفِّي

إبراهيمُ بن عثمان

أبو شيبة، قاضي واسط، مولى بني عَبْس. وكان كاتبَه يزيدُ بن هارون. وقال يزيد: ما قضى على الناس رجلٌ كان أعدلَ منه.

حدَّث عن هشام بنِ عروةَ وغيرِه، وروى عنه يزيدُ بن هارونَ وغيرُه، رحمه الله. إلَّا أنه روى أن النبيَّ ﷺ كان يصلِّي في رمضانَ كلَّ ليلةٍ عشرين ركعةً والوِتر، وروى أنَّه شهد صِفِّين مع عليٍّ عليه السلامُ سبعون من أهل بدر[١]، وقد أنكر عليه الإمامُ أحمد ابنُ حنبلٍ رحمةُ الله عليه وابنُ مَعين ذلك، وقالا: ما صلَّى النبيُّ ﷺ عشرين ركعة، ولا شهد صِفِّين من أهل بدرٍ سوى خزيمةَ بنِ ثابت[٢].

إدريسُ بن عبدِ الله

ابن حسنِ بن حسن بن عليٍّ عليه السلام[٣]. كان قد خرج مع الحسين صاحبِ فَخّ، فلما قُتل الحسينُ هرب إلى مِصر، وكان على بريدها واضحٌ مولى صالحِ بن منصور، وكان يميل إلى [آلِ][٤] أبي طالب، فحمله على البريد إلى المغرب، فوصل إلى أرضِ طنجة، فنزل بمدينةٍ يقال لها: وليلى[٥]، فاستجاب له مَن بها وبنواحيها من البربر، وبلغ الهاديَ فقتل واضحاً وصلبه.

ويقال: إنَّ هارونَ هو الذي قتله، ودسَّ موسى أو هارونُ إلى إدريسَ الشمَّاخَ اليماميَّ[٦] مولى المهدي، فدخل المغربَ وأظهر أنه طبيب، فأحضره إدريس، وأقام عنده وأَنِس به، فشكا إليه مرضاً في أسنانه، فأظهر سَنُوناً[٧] مسموماً، وقال له: إذا

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٢٤.

(٢) قال الذهبي في الميزان ١/ ٤٧ : سبحان الله! أما شهدها علي! أما شهدها عمار!

(٣) ذِكره هنا وهم، وتابعه عليه صاحب الوافي ٨/ ٣١٩، والنجوم الزاهرة ٢/ ٥٩. والصواب أن وفاته بعد السبعين، انظر معجم البلدان (وليلى)، وتاريخ ابن خلدون ٤/ ١٢ ـ ١٣، والوفيات لابن قنفذ ص١٣٩ ـ ١٤٠، والأعلام.

(٤) ما بين حاصرتين من الوافي بالوفيات ٨/ ٣١٨ .

(٥) في (خ): ولية. وهو خطأ. انظر معجم البلدان، والكامل ٦/ ٩٣، ووفيات ابن قنفذ.

(٦) في (خ): اليماني. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ١٩٨، والكامل ٦/ ٩٣.

(٧) السنون: شيء يستاك به. مختار الصحاح (سنن).

طلع الفجرُ فاستنَّ به، وهرب الشماخُ من ليلته ولم يعلم به إدريس، فلمَّا طلع الفجر استنَّ به وجعل يردِّده في فيه، فسقط فوه ومات، وطلب الشماخ فلم يقدرْ عليه، وخرج إلى إفريقيةَ وبها إبراهيمُ بن الأغلبِ عاملُ الهادي، فأقام عنده، وكتب إلى هارونَ يُخبره بموت إدريس، فبعث له صلةً سَنِيَّة، وولَّاه بريدَ مصر، فقال بعضُ الشعراء، ويقال: إنَّه الهادي أو الرشيد[1]: [من الكامل]

أَتظنُّ يا إدريسُ أنك مُفْلِتٌ ... كيدَ الخلافةِ أو يقيك فِرارُ
إنَّ السيوفَ إذا انتضاها سَخْطةً ... طالت وقصَّر دونها الأَعمار
مَلِكٌ كأنَّ الموتَ يَتْبع أمرَه ... حتى تخالَ تُطيعه الأَقدار

ولَمَّا هلك إدريسُ ولي مكانَه ابنُه إدريسُ بن إدريس، وأَقام أولادُهم بالمغرب مدَّة.

الحسينُ بن عليٍّ

ابن الحسن [بنِ الحسن بن الحسن][2] بن عليٍّ عليه السلام، صاحبُ فَخّ، رحمه الله، خرج في هذه السَّنة بالمدينة، وكان عليها عمرُ بن عبدِ العزيز بنِ عبد الله بن عبد الله ابن عمرَ بنِ الخطَّاب رضي الله عنه، وكان قبله على المدينة إسحاقُ بن عيسى بنِ علي، فاستعفى، فأَعفاه الهادي وولَّى العُمَري.

وسببُ خروجِ الحسين أنَّ العمريَّ أخذ الحسنَ بن محمد بنِ عبد الله بن حسن ـ وكُنيته أبو الزفت ـ وجماعةً، فحدَّهم في شرابٍ زعم أنَّهم شربوه، وطاف بهم المدينةَ وحبسهم، فجاء إليه الحسينُ بن عليٍّ صاحبُ فَخّ، فلامه وقال: إنَّ أهلَ العراق لا يرون بهذا الشرابِ بأساً، وقد حددتَهم فأَطلِقْهم. وكان العمريُّ يخاف خروجَ الحسنِ بن محمد المحدود، فاختفى الحسن، وكان صاحبُ فخَّ ويحيى بنُ عبد اللهِ بن حسنٍ قد كفلاه، فطلبه العُمَري منهما، فأَجمعوا على الخروج في تلك الليلة: الحسينُ بن علي، والحسنُ ويحيى ابنا عبدِ الله بن حسن، وإدريسُ بن عبدِ الله بن حسن، وجماعةٌ من بني هاشمٍ وشيعتِهم، فأصبح الحسينُ بن عليٍّ وقد لبس البَياض وصعد منبرَ رسولِ الله ﷺ

(١) في (خ): والرشيد، والمثبت من الوافي ٨/ ٣١٨. والأبيات في ديوان مروان بن أبي حفصة ص٥٠، ونسبها صاحب زهر الآداب ٢/ ١٠٣١ لأشجع السلمي، وقال الطبري في تاريخه ٨/ ١٩٩: فقال بعض الشعراء، أظنه الهنازي. اهـ.

(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ١٩٢، وتاريخ الإسلام ٤/ ٢٨٣، والبداية والنهاية ١٣/ ٥٥٥.

وصلَّى بهم الفجر، وبايعه الناسُ على الكتاب والسُّنة، وقال: أيها الناس، أنا ابنُ رسولِ الله ﷺ وفي مسجد رسوله، وأنا أَدعوكم إلى كتاب اللهِ وسنَّةِ رسوله، فإنْ وفيتُ وإلا فلا بيعةَ لي في أعناقكم، واختفى العُمَري، وكان في بيت المالِ عشرون ألفَ درهم، وقيل: سبعون ألفَ دينار، فأخذوها، وثار بنو العباسِ وخالدٌ البربري، وكان يومئذٍ على الصَّوافي بالمدينة في جمعٍ كبير، وقد ظاهر بين دِرعين وبيده السيفُ صَلْتاً وهو يقول: يا حسين، قتلني اللهُ إنْ لم أقتلْك. وحمل عليهم، فانتدب له يحيى وإدريسُ ابنا عبدِ الله بنِ حسن، فضربه يحيى على أنفه، فهشم البيضةَ ونفذ السيفُ في رأسه، وضربه إدريسُ من خلفه، فوقع، فتعاونا عليه فقتلاه وسلباه، وجرَّا برجله إلى البَلاط، فولَّى مَن كان معه منهزمين، وأقبل الليلُ فتفرَّقوا، وأغلق أهلُ المدينة أبوابَهم. فلما طلع الفجرُ اجتمعت شِيعةُ بني العباس ومَن تبعهم من أهل المدينة، فاقتتلوا إلى آخِر النهار، وفشت الجِراحاتُ في الفريقين، ووصل الخبرُ في ذلك النهارِ أن مباركاً التُّركي قد قدم من بغدادَ حاجًّا فنزل بئرَ المطلب، فخرج إليه العباسيُّون وشيعتهم وكلَّموه في القتال معهم، فجاء من الغد، فنزل الثَّنيَّة في دار عمرَ بن عبد العزيز، ووعد الناسَ بالقتال، فلمَّا غَفَلوا عنه، ركب رواحلَه وانصرف. وأقام الحسينُ بالمدينة أحدَ عشرَ يوماً، ثم خرج منها لستٍّ بقين من ذي القَعدة، وجعل يشتم أهلَ المدينة وهم يقولون: لا ردَّك اللهُ إلينا. ثم وجدوا مسجدَ رسولِ الله ﷺ قد ملأه أصحابُه بولاً وقَذَراً، فغسلوه، ثم دخل الحسنُ مكَّة، فأخذ أصحابُه ستورَ الكعبة ونادى مناديه: أيُّما عبدٍ أتانا فهو حُرّ، فجاءه عبيدُ أهلِ مكة، فقال الناس: أَيُعتِق هذا عبيدَ غيرِه! أكفارٌ نحن مثلَ أهلِ الطائف! وكان الحسينُ قد واعد شيعتَه الخروجَ بمِنى، وإنما حثَّه على الخروج ما بدا من العُمَري، وبلغ الهاديَ الخبر، فانعزل في بيتٍ صغير وحده، وتغيَّر حاله، ولم يتجاسرْ أحدٌ أن يدنوَ منه، فأرسل إليه خواصُّه وأهلُه خادماً صغيراً وقالوا: قِفْ قريباً منه لعلك أن تظفرَ منه بشيء، فوقف، ففَطِنَ الهادي فقال: [من الكامل]

رَقَدَ الأُلى ليس السُّرى من شأنهم ... وكفاهم الإدلاجَ مَن لم يَرقُدِ[1]

وكان قد حجَّ في هذه السَّنةِ رجالٌ من بني العباس، منهم محمدُ بن سليمانَ بنِ علي،

(١) تاريخ الطبري ٨/ ٢٠٣.

والعباسُ بن محمد، وموسى بنُ عيسى، وكان على الموسم سليمانُ بن أبي جعفر، فكتب الهادي إلى محمد بن سليمانَ بتوليته على حرب الحسينِ بن علي، فقيل له: عمُّك العباس بنُ محمد أَولى، فقال: دعوني لا أُخدع عما بي، فلقيهم الكتابُ وقد انصرفوا من الحجّ، وكان محمدُ بن سليمانَ قد خرج في عِدَّة من الرجال وعُدَّة من السلاح؛ لأن الطريقَ كان مَخوفاً من الأَعراب، ولم يحتشدْ لهم حسين، فأتاه خبرُهم وهم[1] بصَوبه ، وكان قد خرج بخَدَمه وإِخوته، وانتهى عيسى بنُ موسى[2] إلى بطن نخلٍ على ليلتين[3] من المدينة، وانتهى إليه الخبرُ ومعه أهلُه وخواصُّه وخدمه، وبلغ الخبرُ إلى العباس بن محمدٍ وهو بالرَّبَذة ومعه أهلُه وخدمه، فكاتبوا محمدَ بن سليمانَ وواعدوه مكَّة، فاجتمعوا بذي طُوى ومعهم سليمانُ بن المنصور، وانضمَّ إليهم مَن وافى الموسمَ من شِيعة بني العباسِ ومواليهم، وجاء الحسينُ بن عليٍّ وأصحابه واصطفُّوا للقتال، فنادى محمدُ بن سليمان: مَن جاء برأسٍ فله خمسُ مئةِ درهم، وحملوا على حسينٍ ومعه نساؤه وأهلُه في المحافل، فعرقبوا الإِبل، فوقعت المحامل، وهزموا أصحابَه وقتلوهم وفرغوا منهم، ورجعوا إلى مكَّة ولم يشعروا ما فعل يحيى بنُ عليّ، فبينما هم كذلك إذا برجلٍ من أهل خراسانَ يصيح: لي البِشارة، هذا رأسُ حسينِ بن علي، وإذا في جبهته ضربةٌ وفي رأسه أخرى، وجاء الحسنُ بن محمدٍ المكنى بأبي الزفت وقد أُصيبت إحدى عينيه، فوقف خلف محمدِ بن سليمانَ والعباسِ ابن محمد، واستدار به موسى بنُ عيسى وعبدُ الله بن العباس بنِ محمدٍ وأَمرا به فقتل، فغضب محمدُ بن سليمانَ وقال: تقتلان مَن استجار بي! ودخل مكَّة مغضَباً، وجُمعت الرؤوس فكانت مئةَ رأس، منها رأسُ الحسينِ بن علي، ورأسُ أبي الزفت، ورأس سليمانَ بن عبدِ الله بنِ حسن، وذلك يومَ التَّروية، وكانت فاطمةُ بنت عليٍّ مع أخيها، فأُخذت فتُركت عند زينبَ بنتِ سليمان، ولَمَّا قدم موسى بنُ عيسى على الهادي قال له: هِيه، تقتل أَسيري! يعني أبا الزفت، ولم يُقتل صبراً غيرُه[4] ، فقال: خفت أن

(١) في (خ): وهو. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ١٩٦.

(٢) في تاريخ الطبري: موسى بن علي بن موسى.

(٣) في تاريخ الطبري: على الثلاثين.

(٤) في تاريخ الطبري: ولم يقتل أحد منهم صبراً. وقد ذكر المصنف قبل قليل كيفية قتله.

تشفعَ فيه عائشةُ وزينبُ إلى أمِّ [أمير][1] المؤمنين فتُطْلقه، ولما بلغ الهاديَ أن مباركاً التركيَّ لم يقاتلْ غضب عليه، وأَمر بقبض أموالِه وتصييره في سياسة الدوابّ. وكان مباركٌ لما وصل المدينةَ أرسل إلى حسين بنِ عليٍّ يقول: واللهِ لأَن أسقطَ من السماءِ فتخطَفني الطيرُ أو تهويَ بي الريحُ في مكانٍ سحيق أَيسرُ عليَّ من أن أشوكَك بشوكة، ولكن لا بدَّ من الإعذار، وإني إذا التقيتُك انهزمتُ. فخرج إليه حسينٌ فاقتتلا، فانهزم مباركٌ عنه، فلحق موسى بنَ عيسى، وغضب الهادي على موسى بنِ عيسى لقتله أبا الزفت، وأَمر بقبض أمواله، وأفلت إدريسُ إلى المغرب، وقد ذكرناه، وهرب يحيى بنُ عبد الله بنِ حسن، وكان العمريُّ مستخفياً بالمدينة، فلمَّا بلغه مقتلُ الحسينِ بن عليٍّ أَحرق دارَه ودارَ جماعةٍ من أهل بيته ومَن خرج معه، وقطع نخيلَهم وأخذ أموالَهم. ولما قُتل الحسينُ بن عليٍّ بعثوا برأسه مع يقطين بنِ موسى، فوضعه بين يدي الهادي، فقال: كأنَّكم قد جئتم برأس طاغوتٍ من الطواغيت، إنَّ أوَّل ما أَفعل بكم أن أَحرمَكم جوائزَكم، فلم يُعطِهم شيئاً، ثم تمثَّل: [من الرجز]

قد أَنصفَ القارَةَ مَن راماها[2]

الأبيات.

وقال الهيثم: اجتمع بمكَّة إلى بني العباسِ أربعةُ آلافِ ألف[3]، وجاء الحسينُ ابن عليٍّ فنزل بفَخٍّ في نفرٍ يسير، وكانوا عُراة، وذلك في ليلة الجُمُعة، فشدُّوا على المحامل فقتلوا أهلَه وقتلوه.

وقال سعيدُ بن مسلم: قد كان الهادي يودُّ لو جيءَ بالحسين بنِ عليٍّ حيًّا ليمرَّ به على أهله ويتألَّفهم بذلك.

وقُتل سليمانُ بن عبدِ الله بن حسنٍ صبراً، وعبدُ الله بن الحسنِ بن عليٍّ أَمَّنوه ثم قتلوه، وقتلوا إسحاقَ بن إبراهيمَ بن الحسنِ بن الحسن بن عليّ عليه السلام، ولما

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ١٩٨.

(٢) تمامه ـ كما في تاريخ الطبري ٨/ ٢٠٣ ـ :

إنا إذا ما فئة نلقاها
نرد أولاها على أخراها

(٣) في مروج الذهب ٦/ ٢٦٦ : أربعة آلاف فارس.

ألقَوا الرأسَ بين يدي الهادي ارتجل أبياتاً، وهي: [من الرمل]

إنَّ هـذا الـدهـرَ جـمٌّ عَـجَـبُـه غـادياتٌ رائـحـاتٌ نُـوَبُـهْ
قـطـع الأرحـامَ فـيـمـا بـيـنـنـا طـالـبـاً أمـراً بـعـيـداً مَـطـلـبُـه
كـنـتُ أَهـوى أَسْـره لا قـتـلَـه وكـفـى لـو قـد كـفـاهـمْ هَـرَبـه
كـيـف قـتـلـي مـثـلَـه لـو قـد أتـى شـافـعـاً فـيـمـا حـبـاه نَـسَـبُـه

وقال أيضاً: [من البسيط]

فـي كـلِّ يـومٍ لـنـا مـن أهـلـنـا حـسـدٌ لأَنْ مـلـكْـنـا وصـرنـا سـادةَ الـبـشـرِ
سـلَّـى هـمـومـي وأَطـفـا نـارَ مَـوجِـدتـي عـونُ الإلـه عـلـى الأَعـداء بـالـظَّـفَـر[1]

ولم يُدفَن من قتلى فَخَّ أحد، بل تُركوا في البرِّية، فأكلتهم السِّباعُ والطيور، فاجتاز بهم بعضُ محبِّيهم فقال: [من مجزوء الكامل]

ولأَبـكـيـنَّ عـلـى الـحـسـيـ ـنِ بـعَـوْلـةٍ وعـلـى الـحـسـنْ
وعـلـى ابـن عـاتـكـةَ الـذي أَثـوَوه لـيـس لـه كَـفَـن
تـركـوا بـفـخٍّ عـظـامـه[2] فـي غـيـر مـنـزلـةِ الـوطـن
كـانـوا كِـرامـاً سـادةً[3] لا طـائـشـيـن ولا جُـبُـن
غَـسَـلـوا الـمـذلَّـةَ عـنـهـمُ غَـسْـلَ الـثـيـاب مـن الـدَّرن
كـلُّ الـعـبـاد تـحـبُّـهـمْ[4] ولـهـمْ عـلـى الـنـاس الـمِـنَـن

وكان بين وفاةِ المهديِّ وخروجِ الحسين بنِ عليٍّ إلى أن قُتل تسعةُ أشهرٍ وثمانيةَ عشَرَ يوماً، وهرب يحيى بنُ عبد الله بنِ حسنٍ ومعه جماعة.

الرَّبيعُ بن يونسَ

ابنِ محمد بن أَبي فَروة، أبو الفضل، حاجبُ المنصور. واسمُ أبي فروةَ كَيسان، مولى الحارثِ الحفار، والحفارُ مولى عثمانَ بن عفَّان رضي الله عنه.

---

(١) معجم الشعراء للمرزباني ص٢٨٩.
(٢) في مروج الذهب ٦/ ٢٦٨، والروض المعطار ص٤٣٧ : غدوة.
(٣) في مروج الذهب والروض المعطار: قتِّلوا.
(٤) في المصدرين: هدي العباد بجدهم.

وأبو فروةَ من أَرْأَسه، بل من سَبي من جبل الخليلِ بالشام، وهو جبلُ صيدا. وقيل: أبو فروةَ من سَبي عينِ التَّمر، ابتاعه ناعمٌ الأسدي ودخل به المدينةَ وعليه فروة، فاشتراه عثمانُ رضوانُ اللهِ عليه فأَعتقه، وجعل يحفر القبور، وكان أَلثغ، فلمَّا قام الناسُ على عثمانَ كان معهم، فناداه: يا أُثمان، رُدَّ المدالم، فقال له عثمانُ رضوانُ الله عليه: أنت أوَّلُها، ابتعتَ من بيت المالِ لتحفرَ قبورَ المسلمين فتركتَ ذلك.

ثم ولد أبو فروةَ عبدَ الله، وولد عبدُ الله محمداً، وولد محمدٌ يونس، وكان يتيماً في حجر جدَّته، وكان لجدَّته جاريةٌ نفيسة، فواقعها بغير إذن جدَّته، فحملت منه، فولدت الرَّبيع، فجحده يونُس، وجحدته جدتُه، فلما شبَّ باعته، فاشتراه زيادُ بن عبيدِ الله الحارثيُّ فأَهداه إلى أبي العباس، ثم انتقل إلى أبي جعفر، فاستمال ابنُ أبي فروة بالأموال حتى شهدوا له بأنه ابنُ يونسَ وأنه أقرَّ به، وكان محمدُ بن أبي فروةَ من أجلِّ موالي المدينة وأَسراهم نفساً وكَرَماً ويساراً، فخطب إلى محمد بنِ يوسفَ مولى عثمانَ رضي الله عنه ابنتَه عمارة، فزوَّجه إياها، فولدت له يونسَ بن محمد، ونشأ على طريقة أبيه.

وكان المنصورُ صيَّر الربيعَ خليفةَ حاجبِه أبي الحصيب مرزوقٍ مولاه، ثم أَعتقه وصيَّره حاجبَه، ثم بلغه أن الربيعَ يقول: إنه ابنُ يونس، فدعاه وأدَّبه، وقال: يا ابنَ الخبيثة! أَعتقتُك واصطفيتك وأنت تدَّعي ولاءَ عثمان!

ووجَّه المنصورُ إلى يونسَ فقال له: إنَّ الربيعَ يزعم أنه ابنُك، فأَنكر ذلك وحلف عليه، فأعجب أبا جعفرٍ وأَحسن إلى الربيع ووصله، وبهذا كان جعفرُ بن يحيى يُكنى أبا رَوح؛ لأن أهلَ المدينة يكنون اللقيطَ أبا رَوح.

وقال الصُّولي: ما رأيتُ أحداً من أهل العلم إلَّا وهو يصحِّح نسبَ الربيعِ أنه ابنُ يونسَ بنِ محمد، وكان المنتوفُ يطعُن في نسبه ويقول له فيه شبهةٌ من المسيح، يخدعه بذلك، فكان يُكرمه، فأُخبر المنصور بمقالة المنتوفِ فقال للربيع: ويحك، إنَّه يقول: لا أبَ لك، فتنكَّر له بعد ذلك، ودخل فتًى من بني هاشمٍ على المنصور، فسأله عن أبيه فقال: مرض رضي الله عنه في وقت كذا، وجعل يكثر الترحُّمَ على أبيه، فاغتاظ الربيعُ فقال: كم تترحَّم على أبيك بين يدي أميرِ المؤمنين؟ فقال له الفتى: ما أَلومك؛ لأنك ما ذقتَ حلاوةَ الآباء، فضحك أبو جعفرٍ حتى استلقى على ظهره، ولم يُرَ ضاحكاً مثلَ ذلك

اليوم، ووصل الفتى. يعني أن الربيعَ لقيطٌ لا يُعرف له أب، وفيه يقول الحارثُ بن الدَّيلمي: [من الطويل]

شهدتُ بإذن اللهِ أنَّ محمداً رسولٌ من الرحمن غيرُ مكذَّبِ
وأنَّ ولا كيسانَ للحارث الذي وَلِيْ زمناً حفرَ القبورِ بيثرب[1]

وكان الربيعُ فطناً لبيباً، دخل المنصورُ داراً فرأى على حائطٍ مكتوباً: [من الطويل]

وما ليَ لا أبكي بعينٍ قريحةٍ[2] وقد قُرِّبت للظاعنين حُمولُ

وتحتها مكتوب: إيه إيه، فسأل أبو جعفرٍ خواصَّه فلم يفهموا معناه، فقال الربيع: يا أميرَ المؤمنين، لما كتب هذا البيتَ ولم يجد مَن يساعده على حاله بكى، والباكي يقول: إيه إيه، فعجب المنصورُ من فطنته، وأَعتقه واستوزره بعد ذلك.

وقال الربيع: رأى المنصورُ على حائط قصرِه مكتوباً: [من الطويل]

وما ليَ لا أبكي وأَندُب ناقتي إذا صدر الرِّعيانُ نحو المناهلِ
وكنتُ إذا ما اشتدَّ شوقي رَحَلتُها فسارت بمحزونٍ طويل البلابل

وتحته مكتوب: آه آه، فلم يدرِ ما هو، وفطنتُ فقلت: يا أميرَ المؤمنين، قال هذا الشِّعرَ ثم تأوَّه فكتب تأوهَه وتنفُّسه، فقال لي: يا غلام، ما أخفَّكَ على قلبي! قاتلك اللهُ قد أَعتقتك وولَّيتك مكانَ ياسر.

وكان شابٌّ من بني هاشمٍ يدخل على أبي جعفرٍ فيسلِّم من بعيدٍ وينصرف، فدخل يوماً، فأَدناه أبو جعفرٍ وقرَّبه وأَمره بالغداء معه، فقال: قد تغدَّيت، والربيعُ واقفٌ على رأس أبي جعفر، فلمَّا خرج الشابّ، لحقه الربيعُ فدفع في قفاه، وفعل الحجَّاب كذلك، فشكا الشابُّ إلى عمومته ذلك، فدخلوا على أبي جعفرٍ وأَخبروه فقال: إنَّ الربيعَ لم يُقدم على هذا جُزافاً، فإن شئتم أَمسكنا عنه، وإن شئتم سألناه، فقالوا: سَلْهُ، فدعاه وقال له: لِمَ فعلتَ بهذا الفتى ما فعلت؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ هذا الجاهلَ كان يأتي كلَّ يومٍ فيسلِّم من بعيدٍ وينصرف، فلمَّا كان بالأمس أَدناه أميرُ المؤمنين وقرَّبه

(١) تاريخ بغداد ٩/ ٤٠٤.
(٢) في المنتظم ٨/ ٣٣٢: حزينة.

وقال: تغدَّ معي، فامتنع، فدلَّ على سوءِ أدبه، وظنَّ أن طعامَ أميرِ المؤمنين للعلف، ونسي أنَّه للشَّرف، فقال له: أحسنت.

وكان أبو جعفرٍ يقول: إني لأَضنُّ بالربيع عن الولاية، هو أكبرُ منها.

وقال المنصورُ يوماً: سَلْني ما تريد، فقد سكتَّ حتى أَبرمت، وخفَّفت حتى ثقلت، وأَكثرتَ حتى قللت، فقال له: يا أميرَ المؤمنين، واللهِ لا أغتنم مالَك، ولا أستقصر عُمرَك، ولا أستصغر فِعلَك، وإنَّ يومي بفضلك عليَّ لأَحسنُ من أمسي، وغداً في تأميل رجائي أحسنُ من يومي، فقال له المنصور: علمي بهذا منك أَحلَّك هذا المحلَّ مني، فسلني ما شئت، قال: أسألك أن تحبَّ ابني الفضلَ وتقرِّبَه، فقال: أما الحبّ، فليس بمالٍ يوهب، ولا بزينة تُبذَل، وإنما تؤكِّده الأسباب، وأما تقريبُه، فقد أَجزتُه بألف ألفِ درهم، ولم أَصِلْ بها غيرَ عمومتي.

وكان المنصورُ يقول: واللهِ ما من أحدٍ قريب أو بعيد يُطيف بي إلَّا وقد غفرتُ له ذنوباً، إلا الربيع، فإنَّه ما أذنب إليَّ ولا أخطأَ في شيءٍ قط.

ولَمَّا شرع المنصورُ في بناء بغدادَ وخرج عليه محمدٌ وإبراهيم، جعل المنصورُ يدور في بستان، وإذا بشجرة خلافٍ قد نبتت، ولم يكن أبو جعفرٍ يعرفها قبل ذلك، فقال: يا ربيع، ما هذه؟ فكره أن يقول: شجرةُ الخلاف، فقال: هذه شجرةُ الوِفاق، فأُعجب أبو جعفرٍ به.

ذكر وفاته:

كان الهادي في قلبه عليه، فقال لسعيد بنِ سَلْم: أريد قتلَ الربيعِ وما أدري كيف أَصنع، فقال له: أَقعِد له رجلاً في الطريق ومعه سكِّين مسمومةٌ ومُرْه بقتله، فأَقعد له في الطريق رجلاً وأَمره بقتله، فخرج الربيعُ من عنده ليلاً، فلم يمرَّ على ذلك الرجل، وسلك غيرَ الطريقِ الذي كان فيها، ثم علم الربيعُ بعد ذلك، فانصدع قلبُه فمات بعد ثمانيةِ أيام.

وقيل: إنَّه كانت للرَّبيع جارية، فأَهداها إلى المهديِّ فوهبها لابنه الهادي، فكانت أعزَّ الخلقِ عليه، فوشى بعضُ أعداءِ الربيع إلى الهادي وقال: إنَّه يقول: ما وضعتُ بيني وبين الأرضِ مثلَ أَمَةِ العزيزِ، يعني الجارية، فغار الهادي غَيرةً شديدة، ودعا به

يوماً، فأكل معه وناوله بيده قَدَحاً مسموماً، فشربه خوفاً لا يقتله، ثم قام إلى داره فقال لأهله: إنَّ موسى سقاني كأساً مسموماً، ومات من ساعته.

وكانت وفاةُ الربيعِ في هذه السَّنة، وقيل: في أوَّل سنةِ سبعين قبل موت الهادي بأشهر، وله ستُّون سنة.

ذِكْرُ أولاده :

كان له من الأَولاد الفضل، ويعقوب، وعبدُ الله، والقاسم، وجعفر، ويونُس، وإبراهيم، وعبيدُ الله، ومحمد، وموسى، وكلُّهم أَعقبوا إلَّا موسى، ولم يرَ في الحجابة أعرفُ من الربيع وولدِه، حجب الربيعُ للمنصور وللمهديّ، وحجب ابنُه الفضلُ هارونَ [و][1] الأمين، وحجب ابنُه العباسُ بن الفضل للأمين، فعباسٌ حاجبُ بن حاجبِ بن حاجب، وفيه يقول أبو نُوَاس: [من الكامل]

ساد الرَّبيعُ وساد فضلٌ في العُلا ... وعلتْ بعباس الكريمِ فروعُ
عبَّاسُ عباسٌ إذا شهد الوغى ... والفضلُ فضلٌ والربيعُ ربيع[2]

ووُلد العباسُ بن الفضلِ في آخر خلافةِ أبي جعفر، وأما يعقوبُ بن الربيع، فكان شاعراً ماجناً خَليعاً، اشترى جاريةً فأُعطي فيها مئةَ ألفِ دينارٍ فلم يبعها، فماتت عنده، فقال فيها الأَشعار، فمنها: [من الكامل]

أَضحَوا يصيدون الظِّباءَ وإنني ... لأَرى تصيُّدَها عليَّ حراما
أَشبهنَ منكِ سوالفاً وشمائلاً[3] ... فأَرى بذاك لها عليَّ ذِماما

أَسند الربيعُ عن أبي جعفرٍ وعن جعفر الصادقِ وغيرِهما، وروى عنه ابنُه الفضل وغيرُه.

المهديُّ محمدُ بن عبدِ الله

ابنِ محمد بن عليِّ بن عبد الله بنِ العباس. كان حسنَ الأخلاق كثيرَ الحياء، جَوَاداً

(١) ما بين حاصرتين من المنتظم ٨/ ٣٣٣.
(٢) الديوان ص٤١٥.
(٣) في نشوار المحاضرة ٧/ ٧، وتاريخ بغداد ١٦/ ٣٩٠ : مدامعاً.

سَمْحاً حليماً، عارفاً بأيَّام الناس.

دخل ابنُ الخياط المكِّي عليه فقبَّل يدَه ومدحه، فأمر له بخمسين ألفَ درهم، فلمَّا قبضها فرَّقها على الناس وقال: [من الطويل]

لمستُ بكفِّي كفَّه أبتغي الغنى ... ولم أدرِ أنَّ الجُودَ من كفِّه يُعدي
فلا أنا منه ما أفاد ذَوو الغنى ... أفدتُ وأعداني فضيَّعتُ ما عندي[1]

وبلغه فأعطاه عوضَ كلِّ درهمٍ ديناراً.

وقال المهديّ: ما توسَّل أحدٌ إليَّ بوسيلة ولا تذرَّع بذريعةٍ هي أقربُ إلي وأحبُّ من أن يذكرَني يداً سلفت مني إليه أُتبِعها بأُختها؛ لأن منعَ الأواخرِ يقطع شكرَ الأوائل.

وقال حسنٌ الوصيف: جلس المهديُّ جلوساً عامًّا، فدخل عليه رجلٌ في يده نعلٌ في منديل، فقال: يا أميرَ المؤمنين، هذه[2] نعلُ رسولِ الله ﷺ أَهديتها لك، فأخذها منه وقبَّل باطنَها ووضعها على عينيه، وأَمر للرجل بعشرة آلافِ درهم، فلمَّا خرج الرجلُ قال المهديُّ لجلسائه: أَتروني أنِّي [لم][3] أعلمْ أنَّ رسولَ الله ﷺ لم يرَها فضلاً عن أن يكونَ لبسها؟ ولو كذَّبناه قال للناس: أتيت أميرَ المؤمنين بنعل رسولِ الله ﷺ فردَّها عليّ، وكان مَن يصدِّقه أكثرَ ممن يدفع خبرَه؛ إذ كان من شأن العامَّةِ الميلُ إلى أشكالها والنُّصرةُ للضعيف على القويِّ وإن كان ظالماً، فاشترينا لسانَه وقبلنا هديَّته وصدَّقنا قولَه، ورأينا الذي فعلنا أنجح وأرجح.

وقال سليمانُ بنُ علي: دخل الربيعُ يوماً على المهديِّ وبيده قطعةٌ من جراب فيها كتابةٌ برماد وخاتمٌ من طين قد عُجن بالرَّماد وهو مطبوعٌ بخاتم الخلافة، فقال: يا أميرَ المؤمنين، أعرابيٌّ على الباب ينادي: مَن يدلُّني على الربيع؟ هذا كتابُ أمير المؤمنين، فأخذه المهديُّ وضحك وقال: هذا واللهِ خطِّي وخاتَمي، وصدق، ثم شرع يحدِّث فقال: خرجت أمسِ إلى الصيد في غِبِّ سماء، فلمَّا أصبحت هاج علينا ضبابٌ شديد،

---

(١) اختلف في نسبة البيتين، انظر الأغاني ٣/ ١٥٠ ـ ١٥١ و ٢٠/ ١، وديوان بشار ٢/ ٢٣٦، وديوان دعبل ص٤٤٦ ـ ٤٤٧.

(٢) في (خ): هذا. والمثبت من تاريخ بغداد ٣/ ٣٨٧.

(٣) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد.

وفقدتُ أصحابي حتى ما أَرى منهم أحداً، وأصابني من الجوع والبردِ والعطشِ ما اللهُ به عليم، وتحيَّرت، فذكرت دعاءً سمعتُه من أبي يحكيه عن أبيه عن جدِّه عن ابن عباسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قال إذا أَصبح وأَمسى: بسم الله وبالله ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بالله، اعتصمتُ بالله وتوكَّلت على الله، حسبي اللهُ [ولا حولَ][1] ولا قوَّة إلا بالله العليِّ العظيم، وُقي وكُفي وشُفي من الحرق والغرقِ والهدم وميتةِ السُّوء» فلما قلتُها رُفع لي ضوءُ نار، فقصدتُها، وإذا بأعرابيٍّ في خيمةٍ له يوقد ناراً، فسلَّمت عليه وقلت: هل من ضيافة؟ قال: اِنزل، فنزلت، فقال لزوجته: اِطحني ذاك الشعير، فأخذتْ في طحنه، فقلت: اِسقني ماء، فأتاني بسقاءٍ من لبنٍ فيه مَذْقة، فشربتُ منه شربةً ما شربت قطُّ شربةً إلا وهي أطيبُ منه وألذّ، وأَعطاني حِلْساً، فنمت نومةً ما نمت عمري ألذَّ منها، ثم انتبهتُ وإذا به قد ذبح شُويهةً لم يكن له سواها، وإذا بامرأته تقول: قتلتَ نفسَك وصِبيتَك، إنَّما كان معاشُكم من هذه الشاةِ وقد ذبحتَها، فبأيِّ شيءٍ تعيش؟! قال: فقلت لها: لا عليك، هاتِ الشاة، فشققتُ جوفَها واستخرجتُ كَبِدها، وأخرجت سكِّيناً من خفِّي، فشرحتها وشويتُها على النار وأَكلتها، فما أكلتُ أطيبَ منها. ثم قلت: هل عندكَ ما أَكتب لك فيه؟ فجاء بهذه القطعة، فأخذتُ عُوداً من الرَّماد الذي كان بين يدي، فكتبتُ هذا الكتابَ وختمته بهذا الخاتمَ، وأمرته أن يجيءَ ويسألَ عن الربيع فيدفعَه إليه، ثم قرأ المهديُّ الكتاب، وإذا فيه: خمسُ مئةِ ألف درهم، فقال: واللهِ ما أردتُ إلَّا خمسين ألفَ درهم، ولكن خرجت بخمس مئةِ ألف، واللهِ لا أَنقص منها درهماً واحداً ولو لم يكن في بيت المالِ غيرُها، اِحملوها معه، فما كان إلا القليلُ حتى كثرت إبلُ الرجلِ وشاؤه، وصار منزلاً من المنازل ينزله الناسُ مَن أراد الحجَّ من الأَنبار إلى مكَّة، وسمِّي مضيف أمير المؤمنين.

واعترضته امرأةٌ وقالت: يا عصبةَ رسولِ الله ﷺ انظرْ في حاجتي، فأَعجبه كلامُها وقال: ما سمعتُها من أحدٍ قبلها، اقضوا حاجتَها وأعطُوها عشرةَ آلافِ درهم.

وقدم المهديُّ البصرة، فكان يصلِّي بالناس الصلواتِ الخمسَ في جامع البصرة،

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ٣/ ٣٩٠.

فأُقيمت الصلاةُ يوماً، فقال أَعرابيّ: يا أميرَ المؤمنين، لستُ على طهرٍ وقد رغبتُ إلى الله في الصلاة خلفَك، فوقف في المحراب قائماً حتى توضَّأ الأعرابيُّ وجاء، فأُخبر بمجيئه، فكبَّر وصلَّى، فعجب الناسُ من سماحة أخلاقِه.

وهاجت ريحٌ في زمن المهديّ، فدخل بيتاً في جوف بيتٍ وأَلصق خدَّه بالأرض، وجعل يمرِّغ وجهَه على التراب، ثم قال: اللهمَّ إنه بريءٌ من هذه الجنايةِ كلُّ هذا الخلقِ غيري، فإن كنتُ المطلوبَ من بين خلقِك فها أنا بين يديك، اللهمَّ لا تشمت بي أهلَ الأديان، اللهمَّ احفظ محمداً في أمَّته، اللهمَّ هذه ناصيتي بين يديك. فلم يزل كذلك حتى انجلت الرِّيح.

وكان العَوفيُّ على مظالم المهدي، فصلَّى المهديُّ المغربَ بالناس ثم انصرف يتنفَّل، فقام العَوفي فقعد في قِبلَته وجذب بثوبه، فقال: مالَك؟! قال: شيءٌ أَولى بك من النافلة، قال: وما هو؟ قال: سلامٌ مولاك ـ وسلام قائمٌ على رأسه ـ غصب قوماً ضَيعتهم، وقد صحَّ ذلك عندي، فمرْه بردِّها، فقال: حتى نُصبح، فقال العَوفي: لا واللهِ إلَّا الساعة، فأمر قائداً أن يذهبَ إلى الضَّيعة ويُخرجَ منها أصحابَ سلَّام ويردَّها على أَربابها، ففعل.

وكان المهديُّ إذا جلس للمظالم يقول: أَدخِلوا عليَّ القُضاةَ والعلماءَ أولاً، فلو لم يكن ردِّي المظالمَ إلا حياءً منهم [لكفى][1].

وقال سوَّار بنُ عبد اللهِ القاضي: انصرفتُ يوماً من دار المهديّ، فلمَّا دخلتُ منزلي دعوتُ[2] بالغداء، فجاشت نفسي، فأمرت بردِّه، ثم دعوتُ جاريةً أُلاعبها، فلم تَطِب نفسي، فدخلتُ للقائلة، فلم يأخذْني نوم، فركبتُ بغلتي وخرجت، فاستقبلني وكيلي ومعه ألفا درهمٍ من غَلَّتي، فقلت: اِتبعني، وأَطلقت رأسَ البغلة، وعبرت الجسرَ وصرتُ في شارع بابِ الأنبار، وإذا بدارٍ على باب شجرةٍ وعلى الباب خادم، وقد عطشت، فاستسقيتُ ماء، فدخل وأَخرج قُلَّةً نظيفةً طيبةَ الرائحة، فشربت، وحضر وقتُ العصرِ وهناك مسجد، فدخلت وصلَّيت، وإذا بأعمى قد دخل يلمس بيديه،

(١) ما بين حاصرتين يقتضيه السياق.

(٢) في (خ): دخلت، ولعله سهو. والمثبت من تاريخ دمشق ٦٢/ ٥٠١.

فقلت: ما تريد؟ قال: أنت، قلت: وما حاجتُك؟ قال: شممتُ منك ريحَ الطِّيب، فعلمتُ أنك من أهل النَّعيم، فأردتُ أن أشرحَ لك قصَّتي. قلت: قل، قال: أترى هذا القصر؟ قلت: نعم، قال: هذا كان لأبي، فباعه وخرج إلى خُراسان، وخرجتُ معه، فمات وزالت عنا النِّعمة، فجئتُ إلى صاحب القصرِ أسأله أن يَصِلَني وأصيرَ على سوَّار ابن عبدِ الله القاضي؛ فإنه كان صاحبَ أبي، قال: فقلت: ومَن أبوك؟ فذكر رجلاً كان أصدقَ الناس إليّ، فقلت: يا هذا، إنَّ اللهَ قد أتاك بسوَّار، منعه الأكلَ والنومَ والقيلولةَ حتى جاء به فأَقعده بين يديك. ثم قلتُ للوكيل: هاتِ الدراهم، فدفعتُها إليه، ثم قلت: إذا كان غداً فصِرْ إلى المنزل، وركبتُ بغلتي وعدت، وقلت: ما أُحدِّث أميرَ المؤمنين بأطرفَ من هذا، فدخلت عليه فحدَّثته، فعجب وأمر لي بألفَي دينار، ثم قال: عليك دَين؟ قلت: نعم، قال: كم هو؟ قال: خمسون ألفَ دينار، فأَمسكَ وجعل يحدِّثني ساعة، ثم قال: امضِ إلى منزلك، فمضيت، وإذا بخادمٍ قد سبقني ومعه خمسون ألفَ دينار، فقال: أميرُ المؤمنين يقول: اقضِ بها دَينك، فلمَّا كان من الغد جاءني رسولُه، فمضيتُ إليه، فقال: يا سوَّار، فكَّرتُ في أمرك فقلت: هذه يقضي بها دَينه ويحتاج للقَرض، قد أمرتُ لك بخمسين ألفَ دينارٍ أخرى، فقبضتُها وانصرفت، وجاءني المكفوف، فوصلته بأربعة آلافِ دينار[1].

وقال الخرائطي: أهدر المهديُّ دمَ رجلٍ كان يسعى في فساد الدَّولة، وجعل لمن يدلُّه عليه مئةَ ألفِ درهم، فخرج يوماً في بعض شوارعِ بغدادَ مستخفياً، فرآه رجلٌ فعرفه، فلبَّبه وقال: هذا طِلبةُ أميرِ المؤمنين، وإذا بمعن بنِ زائدةَ قد أَقبل في موكبه، فصاح: يا أبا الوليد، خائفٌ فأَجِره، وميِّت فأَحْيه، فقال للرجل: دعْه فقد أجرتُه، فقال: إنَّ أميرَ المؤمنين أَوعد عليه بكذا وكذا، فمضى إليه وأَخبره، وأما مَعْن، فبعث بالرجل إلى داره وقال: لا يَخلص إليه أحدٌ وفيكم عينٌ تَطرِف، ودخل معنٌ على المهديِّ فسلَّم عليه، فلم يردَّ وقال: يا معن، تُجير عليَّ! قال: نعم. قال: ونعم أيضاً! فقال له معن: قتلتُ في قيام دولتكم في يوم واحد أربعةَ آلافِ مصلٍّ ولا يُجار لي رجلٌ واحد قد استجار بي! فأطرق المهدي رأسَه ثم رفعها وقال: قد أَجرنا مَن أجرت.

(١) في تاريخ دمشق: فدفعت إليه الألفي دينار.

فقال: يا أميرَ المؤمنين، إن الرجلَ ضعيفُ الحال، قال: قد أمرنا له بثلاثين ألفَ درهم، فقال: إن جنايتَه عظيمة، وصِلاتِ الخلفاء على قَدْر الجناياتِ من الرعايا، قال: قد أَمرنا له بمئة ألفِ درهم، فقال: أهنأُ المعروف أعجلُه، فأمر بها فحُملت إلى دار معن، فجاء إلى داره وقد سبقه المال، فقال للرجل: ادعُ لأمير المؤمنين؛ فقد حقن دمَك، وأَجزل صِلتَك، وأَصلح نيَّتك له فيما يستقبل.

وقال شبيبُ بن شيبةَ[1] المِنْقري[2]: حججت، فبينا نحن ببعض الطريقِ جلست أتغدَّى، فجاء أعرابيٌّ وبيده جاريةٌ سوداء، فقلت له: تعال تغدَّ، فقال: إنِّي صائم، وكان يوماً شديدَ الحرّ، فقلت له: أتصوم في هذا الحرّ! فقال: أصوم ليومٍ هو أشدُّ حرًّا منه، ثم قال: هل فيكم مَن يكتب لي كتاباً؟ قلت: نعم، فأخرجتُ له صحيفة، فقال: اكتب: هذا ما أَعتق هلالُ بن عبدِ الله جاريتَه لؤلؤةَ لوجه اللهِ تعالى ولجَوَاز العَقَبة، فكتبتُ وأَعتق الجارية، فحدَّثت المهديَّ حديثَه، فقال: اشترِ لي ألفَ رأسٍ وأَعتقهم على ما أَعتق عليه الأعرابيّ، ففعلت.

وقال مالكُ بن أنس: لما حجَّ المهديُّ دخلتُ عليه، فقال: يا مالك، ألكَ دار؟ قلت: لا، وأحدِّثك بحديثٍ حدَّثناه ربيعةُ بن عبدِ الرحمن أنَّ نسبَ الرجلِ دارُه، فأمر لي بثلاثة آلافِ دينار.

ولما حجَّ دخل المدينة، فدخل عليه جماعة، فقال: أَنشِدوني، فأنشده عبدُ العزيز الماجِشون: [من الطويل]

وللناس بدرٌ في السماءِ يرونه ... وأنت لنا بدرٌ على الأرض مُقمِرُ
وما البدرُ إلَّا دون وجهِك في الدُّجى ... يغيب فيبدو حين غاب فيُقمر

فأعطاه خمسين ألفَ دينار[3].

وقدم على المهديِّ بِطريقٌ من الرُّوم يقال له: طاراثُ بن الليث بنِ العيزار بن طريف، وكان أبوه ملكَ الروم أيامَ معاوية، فقال: يا أميرَ المؤمنين، ما قدمتُ إلَّا شوقاً

(١) في (خ): شبة. والمثبت من العقد الفريد ٣/ ٤٦٧، وشعب الإيمان ٤/ ٦٩، وتاريخ دمشق ٦٢/ ٤٩١.
(٢) في (خ): المقري. والمثبت من تاريخ دمشق.
(٣) في تاريخ بغداد ٣/ ٣٨٨ ـ ٣٨٩، وتاريخ دمشق ٦٢/ ٤٩٦ ـ ٤٩٧ أنه أجازه بعشرة آلاف دينار.

إليك؛ لأنَّا نجد في كتبنا أن الثالثَ من بني العباسِ يملأ الأرضَ عدلاً كما مُلئت جَوراً، فقال المهدي: قد سرَّني ما قلت، ولك عندنا كلُّ ما تحبّ، ثم أمر الربيعُ بإنزاله وإكرامه، فخرج يوماً يتنزَّه، فمرَّ بموضع الأَرحاء التي على نهر عيسى، فقال للربيع: أحبُّ أن أبنيَ هاهنا مستغلًّا يؤدِّي لي في السَّنة خمسَ مئةِ ألفِ درهم، فأَقرِضْني خمسَ مئة ألفِ درهم، فقال: نعم، وأَخبر المهدي، فقال: أَعطِه خمسَ مئة ألفِ دينارٍ[1] وخمسَ مئة ألفِ درهم. وبنى الأَرحاء، فكان المهديُّ يبعث إليه في كلِّ سنةٍ مُغَلَّ الأرحاءِ، فأقام مدَّة ثم مات، فضمَّها المهديُّ إلى مستغلَّاته.

وقال الربيع: ظهر رجلٌ يدَّعي النبوَّة، وبلغ المهديَّ فأَرسل إليه، فأَحضره في يومه، فقال: أنت تزعم أنك نبيّ؟ قال: نعم. قال: إلى مَن بُعثت؟ قال: أنتم تركتموني أَذهب إلى مَن بُعثت إليه! وجِّهتُ بالغَداة وأخذتموني بالعَشيِّ فحبستموني. فضحك المهديُّ من قوله وخلَّى سبيله.

وقال عليُّ بن صالح: أذنب رجلٌ من القوَّاد، وكان قد عتب عليه المهديُّ غيرَ مرَّة، فقال له: إلى متى تُذنب؟ قال: ما أبقاك اللهُ لنا، منا الذنبُ ومنك العفو. فاستحيى منه ورضي عنه.

وخرج المهديُّ يطوف بالبيت، فسمع أعرابيةً من ناحية المسجدِ تقول: قوم معثَّرون، نبت عنهم العيون، وقرحتهم الدُّيون، وعضَّتهم السِّنون، بادت رجالُهم، وذهبت أموالُهم، وكثرت عيالُهم، أبناءُ سبيل، وأنضاءُ طريق، وصيةُ الله ووصيةُ الرسول، فهل امرؤٌ يُجير كلأه اللهُ في سفره وخلفه في أهله؟ فرقَّ لها ووصلها.

ولما أَنشده مروانُ بن أبي حفصةَ قصيدته التي منها: [من الكامل]

أَنَّـى يـكـون ولـيـس ذاك بـكـائـنٍ لـبـنـي الـبـنـاتِ ولايـةُ[2] الأعـمـامِ[3]

أعطاه سبعين ألفَ درهم، فقال: [من الطويل]

بـسـبـعـيـن ألـفـاً راشـنـي مـن جِـبـائـه وما نالها في الناس مِن شاعرٍ قبلي[4]

(١) في تاريخ بغداد ١/ ٤٠٦، وتاريخ دمشق ٦٢/ ٤٨٣ : درهم.

(٢) في الديوان ص١٠٤ : وراثة.

(٣) في (خ): للأعمام.

(٤) الديوان ص٩٣.

وقال المهدي لعُمارةَ بنِ حمزة: مَن أرقُّ الناس شِعراً؟ فقال: والبةُ بن الحُباب الأَسدي، وهو الذي يقول: [من مجزوء الكامل]

ولـــهـــا ولا ذَنْـــبَ لـــهـــا حُـــبٌّ كـــأَطـــراف الـــرِّمـــاحِ
فـي الـقـلـب يـقـدح والـحـشـا فـالـقـلـبُ مـجـروحُ الـنـواحـي

قال: صدقتَ واللهِ يا أميرَ المؤمنين، فما يمنعك من منادمته وهو عربيٌّ شريف، شاعرٌ شريف، شاعرٌ ظريف؟! قال: قولُه: [من السريع]

قـلـتُ لـسـاقـيـنـا عـلـى خـلـوةٍ أَدنِ كـــذا رأسَـــك مـــن راســـي
وادنُ وضَـعْ صـدرك لـي سـاعـة[1] إنِّـــي امـــرؤٌ أَنـــكـــح جُـــلَّاســـي

أفتريد أن أكونَ جليسَه على هذا الشَّرط؟

وقال لحاجبه: قد ولَّيتك سَترَ وجهي وكشفَه، فلا تجعلْ بيني وبين خواصِّي سبباً لضَغَنهم بعبوس وجهِك، وقدِّم أبناءَ الدعوة؛ فإنَّهم أولى بالتَّقدمة، واجعل للعامَّة وقتاً بعد وقت.

وبلغ المهديَّ عن أهل الشامِ شيء، فجهَّز إليهم جيشاً، فقال له ابنُ خريم: يا أميرَ المؤمنين، عليك بالعفو عن المذنب والتجاوزِ عن المسيء، فلَأن يطيعَك الناسُ طاعةَ محبَّة خيرٌ لك من أن يطيعوك طاعةَ مخافة. قال: صدقت، وردَّ الجيش.

وأمر المهديُّ بقتل رجلٍ وعنده ابنُ السَّمَّاك، فقال له: إنَّ هذا لا يجب عليه القتل، قال: فما يجب عليه؟ قال: يسعه عفوُك، فإنْ كان أجراً كان لك، وإن كان وِزراً فعليَّ. فعفى عنه.

وجيء المهديُّ برجل يدَّعي النبوَّة، فقال له: متى نُبِّئت؟ قال: وما تصنع بالتاريخ؟! قال: ففي أيِّ الأماكنِ أتتك النبوَّة؟ قال: وقعنا معك في صُداع، فإن كنتَ تؤمن بي وإلَّا فدعْني أَذهبْ لعلي أجد مَن يصدِّقني غيرك. ثم قال: أمؤمنٌ أنا عندك أم كافر؟ قال: كافر، قال: فإنَّ اللهَ يقول: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٨]، فلا تُطِعني ولا تؤذيني، ودعني أذهبْ إلى الضعفاءِ والمساكينِ فهم أَتباعُ

(١) في الأغاني ١٨/ ١٠٠ : ونم على صدرك لي ساعة. والبيتان الأولان في طبقات ابن المعتز ص٢٠٨ أيضاً.

الأنبياء، وأَدعُ الملوكَ والجبابرةَ فما بُعثتُ إليهم. فضحك المهديُّ وأَطلقه.

ورأى المهديُّ في المنام كأنه محا اسمَ الوليدِ بن عبد الملك من مسجد النبيِّ ﷺ، ثم نسي، فلما حجَّ جلس في المسجد، فرفع رأسَه فرأى اسمَ الوليد، فقال: ذكَّرتَني الطَّعنَ وكنتُ ناسياً، وأمر أن يُمحى اسمُ الوليد ويكتبَ اسمُ المهدي مكانَه، ففعلوا.

ودخل شريكٌ على المهديّ، فقال له: اختر خَصلةً من ثلاث: إما أن تليَ القضاء، وإما أن تعلِّمَ ولدي، وإما أن تأكلَ معي لقمة، فقال: اللقمةُ أهون، فأكل عنده ألواناً من الطعام، فقال القهرمان: ليس يُفلح هذا الشيخُ بعدها، فولي واللهِ القضاءَ وعلَّم أولادَه، ولقد كتب له رزقَه إلى الجِهبذ فضايقه، فجاء إليه فقال: كم تضايقني؟! فقال له الجِهبِذ: كأنك بعتَهم خزًّا، فقال: بعتُهم واللهِ أعزَّ من الخَزّ، قال: وما هو؟ قال: دِيني.

ورأى المهديُّ كأنه مقبلٌ على شريكٍ وهو مُعرِض عنه، فسأل المعبِّرَ عن ذلك، فقال: هذا رجلٌ يطأ بساطَك وهو مخالفٌ لك، فاستدعاه، فلما دخل سلَّم عليه، فقال له المهديّ: لا سلَّم الله عليك، فقال: إنَّ اللهَ يقول: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦]، قال: ما تقول في أبي يوسُف؟ فقال: نسأل عنه فإنْ كان عدلاً قبلنا شهادتَه، فاستشاط المهديُّ غضباً فقال: يا ابنَ الزانية، فقال: مَهْ مَهْ! واللهِ ما كانت إلا صوَّامة قوَّامة، فقال له: يا فاسقُ يا زنديق، فقال له شريكٌ وهو يضحك: إنَّ للفسَّاق والزنادقةِ علاماتٍ يُعرفون بها: شربُهم القهوات، واتخاذُهم القَينات، ونومُهم عن العَتَمات. يعرِّض بالمهدي، فقال: رأيتكَ في النوم وأنت تُجيبني من قفاك، فواللهِ لأقتلنَّك، فقال: إنَّ رؤياك ليست برؤيا يوسفَ الصِّدِّيق، فلا تُباح دماءُ المسلمين بالأَحلام، وقام فخرج، فتبعه ابنُ قَحطبة، فقال له شريك: أرأيت ما قال صاحبُك لنا؟ فقال له ابنُ قحطبة: لله أبوك! فواللهِ ما رأيت مثلَك.

وقال عليُّ بن صالح: كنت عند المهديِّ ودخل عليه شريك، فأراد أن يبخِّرَه بعود البَخور، فقال للخادم: هاتِ عوداً للقاضي، فجاء بعود الغناءِ فوضعه في حجر شريك، فقال: ما هذا يا أميرَ المؤمنين! فخجل المهديُّ وقال: هذا أخذه العَسَسُ البارحة، فأحببت أن يكونَ كسرُه على يد القاضي، فقال: جزاك اللهُ خيراً يا أميرَ المؤمنين،

فكسره. ثم أفاضوا في حديثٍ آخَرَ حتى نُسي حديثُ العود، ثم قال له المهديّ: ما تقول في رجلٍ أمر وكيلاً له أن يأتيَ بشيءٍ بعينه فأتى بغيره فتلف ذلك الشيء؟ فقال شريك: يضمن يا أميرَ المؤمنين، فقال المهديُّ للخادم: اضمن ما أتلفتَ بقيمته أو مثلِه.

وقال أبو مَعشر: جلست الخَيزُران يوماً وحولها بناتُ الخلفاءِ على النَّمارق والوسائد، وتحت الخيزران بساطٌ رومي، وعندها زينبُ بنت سليمانَ بنِ علي، وكانت في القُعْدُد[1] عند أهلِها مثلَ المنصور، فدخل الخادمُ فقال: على الباب امرأةٌ ذات حُسن وجمالٍ وهَيبة في أطمارٍ رَثَّة تستأذن عليك، فأَذنت لها الخَيزُران، فدخلت امرأةٌ لها أُبَّهة وقَدْرٌ وجَلالة، فسلَّمت بأحسنِ سلام، وتكلَّمت بأَفصح بيان، فقلت لها: مَن أنت؟ فقالت: مُزنةُ امرأة مروانَ بنِ محمد، أصارني الدهرُ إلى ما ترون، وهذه الأطمارُ عليّ عارية، ولَمَّا غلبتمونا على هذا الأمرِ لم نأمنْ أن نخالطَ العامَّة، ولِمَا نحن فيه من الضَّرر قصدناكم لنعيشَ تحت ظلِّكم، فاغرورقت عينا الخَيزُران، فنظرت إليها زينبُ وقالت: لا خفَّف اللهُ عنك، أتذكرين يومَ دخلتُ عليك وتحتك هذا البساطُ بعينه ـ وأَشارت إلى البساط الذي تحت الخَيزُران ـ ونساءُ فراعنتكم على هذه النَّمارقِ والوسائد، فكلمتُك في جُثَّة إبراهيمَ الإمام فانتهرتِني وأمرتِ بإخراجي، وقلتِ: ما للنساء والدخولِ مع الرجالِ في آرائهم، ووالله لقد كان مروانُ أرعى للحقوق منك، دخلتُ عليه فسألته فيه، فقال: واللهِ ما قتلته، ولقد كذب، ثم دفع إليَّ جُثَّته، وأعطاني مالاً فلم أَقبلْه، فقالت مُزنة: واللهِ ما أظنُّ الحالَ التي أدَّتني إلى ما ترين إلَّا ما كان مني إليك، فلمَ حرَّضتِ هذه السيدةَ على حرماني؟! وكان الواجبُ عليك أن تحضِّيها على فعل الخيرِ ومقابلة الشيءِ بضدِّه؛ لتحوزَ نعمتَها وتصونَ دينَها، يا بنتَ عمي، كيف رأيتِ حالَنا في العقوق وما صنع اللهُ بنا فأَحببتِ أن تتأسِّي بنا. ثم بكت بكاءً شديداً وقامت، فأمرت الخيزرانُ الخادمَ فعدل بها إلى مقصورةٍ سرًّا من زينب، ودخل المهديُّ في الحال وأثرُ البكاءِ في وجه الخَيزُران، فسألها، فقصَّت عليه القصَّة، فبكى بكاءً شديداً وقال: اللهمَّ إني أعوذ بك من زوال نعمتك. ثم قال: وأين المرأة؟ قالت

(١) القعدد: قريب الآباء من الجد الأكبر. القاموس المحيط (قعد).

الخَيزُران: أمرتُ الخادمَ فعدل بها إلى مقصورة، فقال: واللهِ لو لم تفعلي ذلك ما دخلتُ عليك ولا كلَّمتك أبداً، ثم أَقبل على زينبَ فوبَّخها وقبَّح فعلَها وأَمضَّها، ثم أَعرض عنها، وقال للخادم: ما قالت مزنةُ عند قيامِها من المجلس؟ قالت: قرأتْ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ الآية [النحل: ١١٢]، فقال المهدي: عليَّ بها، فجاءت، فقرَّبها وأَدناها ورفع منزلتَها فوق منزلةِ زينب، وذاكرها أيامَ الناس، فوجدها بارعةً في كلِّ فنٍّ مع حُسنٍ وجمال، فقال لها: يا بنتَ العمّ، لولا ما تعلمين من أمركم لتزوَّجتك، ولكن لكِ أُسوة، هؤلاء بناتُ الخلفاء، وأَقطعها ما لمثل واحدةٍ منهن، فأَقامت على أحسن حالٍ حتى توفِّيت في أيَّام هارون.

قِصَّة العَلَوي:

انتبه المهديُّ ليلةً من منامه فَزِعاً، فاستدعى صاحبَ شُرطته وقال له: صِرْ إلى المُطْبِق واطلب فلاناً العلويَّ الحسيني، وخيِّره بين المُقامِ عندنا والخروجِ إلى أهله، فإن اختار الخروجَ إلى أهله فأَعطِه كذا وكذا من المال، وإن اختار المقامَ عندنا فادفع له كذا وكذا من المال. قال: فجئتُ إلى المطبق، فطلبتُ الفتى وإذا به مثلُ الشَّنِّ البالي، فعرَّفته الحال، قال: لا بل أَخرج إلى أهلي إلى المدينة، فجهَّزته وأعطيته الصِّلَة كما أمرني، فلمَّا عزم على الذَّهاب قلت له: بالذي فرَّج عنك ما كنتَ فيه هل تعلم ما دعا أميرَ المؤمنين إلى إطلاقك؟ قال: نعم، رأيتُ رسولَ الله ﷺ في هذه الليلةِ في المنام، فقال: يا بُنَيَّ ظلموك؟ قلت: نعم. قال: قم فصلِّ ركعتين وقل: يا سابقَ الفوت، ويا سامعَ الصَّوت، ويا كاسيَ العظامِ بعد الموت، صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد، واجعلْ لي من أمري فَرَجاً ومخرجاً، إنَّك تعلم ولا أَعلم، وتقدر ولا أَقدر، وأنت علَّامُ الغيوب، يا أرحمَ الراحمين. قال: فقمتُ وفعلت ما أمرني به، ولم أزل أكرِّرها حتى دعوتَني. قال: وعدتُ إلى المهديِّ فحدَّثته الحديث، فقال: كنت نائماً، وإذا بزِنجيٍّ بيده عمودٌ من حديدٍ واقفاً على رأسي وهو يقول: أَطلِق فلاناً العلويَّ وإلَّا قتلتك.

وقال صالحُ بن بشيرٍ المُرِّي: دخلتُ على المهديِّ ببغدادَ وهو بالرصافة، فقلت: يا

أميرَ المؤمنين، احتمل ما أكلِّمك به اليومَ لله تعالى؛ فإنَّ أَوْلى الناسِ بالله أحملُهم للنصيحة فيه، وجديرٌ بمن له قرابةٌ من رسول اللهِ ﷺ أن يرثَ أخلاقَه ويأتمَّ بهديه، وقد ورَّثك اللهُ من فهم العلمِ وإنارة الحجَّة ميراثاً قطع به عُذرَك، فمهما ادَّعيتَ من حجَّة أو ركبت من شبهةٍ لم يتَّضح لك فيها برهانٌ من الله تعالى، حلَّ بك من سَخَطه بقدر ما تجاهلتَه من العلم، أو أقدمتَ عليه من شُبهة الباطل، واعلم أنَّ رسولَ الله ﷺ خصمُ مَن خالفه في أمَّته، ومَن كان محمدٌ ﷺ خصمَه كان اللهُ خصمَه، فأعدَّ لمخاصمة[1] اللهِ ورسولِه حُجَجاً تضمن لك النَّجاة، أو استسلم للهَلَكة، واعلم أنَّ أبطأَ الصَّرعى نهضةً صريعُ هوًى يدَّعيه إلى الله قُربة، وأنَّ أثبتَ الناسِ قَدَماً يومَ القيامة آخذُهم بكتاب اللهِ وسنَّة رسولِه ﷺ، فانتبهْ فقد تصيَّدت الدنيا نُظراءك، فاعملْ بالأمانة فقد أدَّيتُ إليك النصيحة. فبكى المهديّ.

ودخل عليه صالحُ بن عبدِ الجليل فقال: يا أميرَ المؤمنين، لَمَّا سهل علينا ما توعَّر على العامَّة من الوصول إليك، قمنا مقامَ الأداء عنهم وعن رسول اللهِ ﷺ بإظهار ما في أعناقنا من فريضة الأمرِ والنَّهي بانقطاع عُذرِ الكتمان، ولاسيما حيث اتَّسمتَ بميسَم التواضع، وآثرتَ الحقَّ على ما سواه، فجمعنا وإياك مشهدٌ من مشاهد الحقّ، وفي الأثر: مَن حجب اللهُ عنه العلمَ عذَّبه على الجهل، فاقبل يا أميرَ المؤمنين ما نُهدي إليك من ألسنتنا ونؤدِّي به إليك نصيحتَنا.

وقدم المهديُّ حاجًّا، فلمَّا أخذ في الطواف نَحَّى الناسَ عن البيت، فوثب عبدُ الله ابن مرزوقٍ فلبَّب المهديَّ بردائه، ثم هزَّه وقال: مَن جعلك أحقَّ بهذا البيتِ مِمَّن أتاه من بعيدٍ حتى إذا صار عنده حُلْتَ بينه وبينه؟ فقال: مَن هذا؟ فقال: ابنُ مرزوق، وكان مولًى من مواليهم، فكره أن يعاقبَه عقوبةً يُشنِّع بها عليه العامَّة، فأخذه معه إلى بغداد، وحبسه في إصطبلِ الدوابِّ مع فرسٍ شَموس ليدوسَه فيقتلَه، فذلَّل اللهُ له الفرس، فكان يمدُّ عنقَه بين يديه، وأُخبر المهدي، فحبسه في بيتٍ عنده مظلم، وأخذ المفتاحَ فخبأه تحت رأسه، فقيل له: إنَّه في البستان يأكل البَقل، فأحضره وقال: مَن أطلقك؟ فقال:

(١) في (خ): لمخاصم. والمثبت من تاريخ بغداد ١٠/ ٤١٧.

الذي حبسني، فأَطلقه فعاد إلى مكَّة.

وقال المهديُّ لسفيانَ الثوري: يا أبا عبدِ الله، إنِّي أريد أن أستعينَ بك على أَمانتي، فقال: لا أَصلح، فرمى بخاتَمه إليه وقال: اِعمل في هذه الأمَّة بكتاب اللهِ وسنَّة رسوله، فقال: لو عملتُ[1] بذلك لكنت أوَّل ما أبدأ بك، فغضب المهديُّ وقام سفيانُ الثوريُّ فخرج.

ودخل عليه محمدُ بن طلحةَ بن مصرِّفٍ وهو جالسٌ في بهوٍ له، فمطرت على الناس، فقام محمدٌ فقال: أَمن العدلِ يا أميرَ المؤمنين أن تكونَ في الظلِّ ونحن في المطر؟! فقال المهدي: مَن هذا؟ قالوا: محمد، وهو مغفَّل، فقال له المهدي: إليَّ يا عمّ إلى هاهنا، وجعل يردِّدها حتى صار قريباً منه في الكِنّ، فقال: يا عمّ، لِمَ لا تقول[2] لأخيك سفيانَ الثوريِّ يأتِنا؟ فقال: إذاً يكون له الحجَّةُ عليّ، قال: فقل أنت، قال: أرى أن تصعدَ المنبرَ وتسألَ الناسَ أن يسوِّغوك[3] ما في يدك، ثم تستقبل بهم العدل، فقال: مقبولٌ يا عم، وخرج، فقال المهدي: هذا الذي زعمتم أنه مغفَّل!

وكان المهديُّ ممدَّحاً يحبُّ الشِّعر، ومن شعرائه مروانُ بن أبي حفصة، وهو القائلُ من قصيدة: [من الطويل]

كفاكم بعبَّاسٍ أبي الفضلِ والداً ... فما من أبٍ إلا أبو الفضلِ[4] فاضلُهْ

كأنَّ أميرَ المؤمنين محمَّداً ... أبو جعفرٍ في كلِّ أمرٍ يحاوله

إليك قَصَرنا النِّصفَ من صلواتنا ... مسيرةَ شهرٍ بعد شهرٍ نواصله

وهو سبعون بيتاً، وأوَّلها:

صحا بعد جهلٍ واستراحت عواذلُهْ[5]

فأمر له بسبعين ألفاً، فقال مروان: فقلتُ في نفسي: أنشدتُه هذه الأبياتَ فأمر لي

(١) في (خ): علمت. وانظر حلية الأولياء ٧/ ٤٠ ـ ٤١.

(٢) في (خ): تقل. والمثبت من تاريخ دمشق ٦٢/ ٤٨٥.

(٣) في (خ): يسوغونك. والمثبت من تاريخ دمشق.

(٤) في الديوان ص٩٥ : أبو العباس. ولا يستقيم به الوزن. والمثبت موافق لما في تاريخ دمشق ٦٢/ ٥٠٧.

(٥) عجزه: وأقصرن عنه حين أقصر باطله.

بشيءٍ نسيئة، فقلت:

فلا نحن نخشى أن يَخيبَ مسيرُنا إليك ولكنْ أَهنأُ البِرِّ عاجلُهْ

فقال المهديّ: عجِّلوها له، فحُملت إليَّ من وقتي.

وكان المهديُّ يحتجب أولَ خلافته، فأنشده سَلْمٌ الخاسر: [من مخلع البسيط]

مَن راقب الناسَ مات غمًّا وفاز باللذَّة الجَسورُ[1]

فظهر لنُدَمائه. وكان يقول بعد ذلك: إنما اللذَّة في مشاهدتها وإدراكِ الحواسِّ إياها، أما مِن وراءَ فليس لها معنى.

وكان المهديُّ يشعر، ومن شعره: [من الوافر]

أَرى ماءً وبيْ عطشٌ شديدٌ ولكنْ لا سبيلَ إلى الوُرودِ
أَراح اللهُ من جسدي ثيابي وعجَّلني إلى دار الخلود
أَمَا يكفيكِ أنَّك تملكيني وأنَّ الناس كلَّهمُ عبيدي
وأنكِ لو قَطَعتِ نياطَ قلبي لَقلتُ من الهوى أحسنتِ[2] زيدي

وقيل: إنَّها لابنه هارونَ الرشيد[3].

وله: [من مجزوء الرمل]

أفٍّ للدنيا وللزِّينةِ فيها والأثاثِ
إذ حثا التُّربَ على هَيـ ـلانَ في الحفرة حاثي
فلها تبكي البواكي ولها تُشجَى المراثي
خلَّفت حزناً طويلاً جعلتْ ذاك تُراثي[4]

وحجَّت الخَيزُران، فكتب إليها المهديُّ وهي بمكَّة: [من الخفيف]

نحن في أكملِ السُّرورِ ولكن ليس إلَّا بكمْ يتمُّ السرورُ

(١) الأغاني ١٩/ ٢٦٣.

(٢) في (خ): حسنت.والمثبت من المصادر.

(٣) انظر في نسبة الأبيات تاريخ الطبري ٨/ ١٨٥، والموشى ص٨١، وتاريخ دمشق ٣٩/ ٢٧٨، و٦٢/ ٥١١، ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٢٩، والتدوين في أخبار قزوين ١/ ٤٣٢.

(٤) الأبيات للرشيد، انظر تاريخ بغداد ١/ ٤١٤، والوافي ٢٧/ ١٩٩.

عيبُ ما نحن فيه يا أهلَ وُدِّي أنكم غُيَّب[1] ونحن حضور
فأَجِدُّوا في السير بل إنْ قدرتمْ أَن تطيروا مع الرِّياح فطيروا

فكتبتْ إليه تقول:

قد أتانا الذي وصفتمْ[2] من الشَّو قِ فكدنا من الغَرام نطيرُ
ليت أنَّ الرِّياحَ كنَّ يؤدِّيـ ـنَ إليكم ما قد يُجِنُّ الضمير
لم أزل صبَّةً فإنْ كنتَ بعدي في سرورٍ فدام ذاك السُّرور

ذِكرُ وفاته:

قال عليُّ بن يقطين: بينا نحن مع المهديِّ بقصره بماسَبَذانَ نام نومة، ثم انتبه وهو يبكي، فقمنا إليه فقلنا: ما الخبر؟ فقال: أَتاني الساعةَ آت، فوقف على باب القصرِ وقال: [من الطويل]

كأنِّي بهذا القصرِ قد باد آهلُهْ وأَوحشَ منه رَبْعُه ومنازلُهْ
وصار عميدُ القومِ من بعد بهجةٍ ومُلكٍ إلى قبرٍ عليه جَنادلُه
فلم يبقَ إلَّا ذِكرُه وحديثُه تنادي عليه مُعْوِلاتٍ حلائلُه

فلم يلبثْ سوى عشرةِ أيامٍ ومات[3].

وقال الشافعيُّ رحمه الله: لما فرغ المهديُّ من بناء قصره، تحوَّل إليه ومعه حَشَمُه، فبينا هو ذات ليلةٍ نائم، إذ سمع صوتاً من زاوية القصرِ يهتف:

كأنِّي بهذا القصرِ قد باد آهلُهْ وأَوحش منه رَبعه ومنازلُهْ[4]

فأجابه المهديُّ وقال:

كذاك أمورُ الناسِ يبلى جديدُها وكلُّ فتًى يوماً ستَبلى فعائلُه

فأجابه الهاتفُ وقال:

تلبَّثْ ثلاثاً بعد عشرين ليلةً إلى منتهى شهرٍ وما أنت كامله

---

(١) في بهجة المجالس ٢/ ٨٢١، وتاريخ دمشق ٦٢/ ٥١٠ : غبتم.

(٢) في (خ): قد وصفتم، وهو خطأ.

(٣) تاريخ الطبري ٨/ ١٧٠ ـ ١٧١، وتاريخ دمشق ٦٢/ ٥١٢، والكامل ٦/ ٨١.

(٤) في تاريخ دمشق ٦٢/ ٥١٣، والبداية والنهاية ١٣/ ٥٥٠ : وقد درست أعلامه ومنازله.

فما عاش بعدها إلَّا تسعةً وعشرين يوماً ومات[١].

وقيل: خرج إلى قريةٍ فنصب الشِّباك على المياه لصيد الغِزلان، فنفرتْ وذهبت، وجاءت في اليوم الثاني وقد أَجهدها العطش، فوقفت عند الشِّباك ورفعت رؤوسَها وعجَّت عجةً واحدةً إلى الله تعالى، وإذا قد ارتفعت سحابةٌ فأَمطرت غُدراناً، فشربتْ والمهديُّ ينظر إليها، فحُمَّ من يومه، فلم يلبثْ أياماً حتى هلك.

وقيل: طردت الكلابُ ظَبياً وطرد المهديُّ خلفها، فما زال الظَّبْيُ يعدو حتى اقتحم بابَ خَربة، فاقتحمت الكلابُ خلفه، واقتحم الفرسُ بالمهدي، فدقَّ بابُ الخربة ظهرَه فوقع ميِّتاً، فنظروا فلم يجدوا ما يحملونه عليه، فقلعوا باباً من بعض بيوتِ القرية فحملوه عليه إلى معسكره.

وقيل: إنَّه مات مسموماً، فقال الطَّبري[٢]: بعثتْ جاريةٌ من جواري المهديِّ إلى ضَرَّة لها بلِبَأٍ[٣] فيه سمّ، فمرَّت بالمهديِّ وهو قاعدٌ في بستان، فدعا به فأكل منه، وفَرِقت الجاريةُ أن تقول: إنَّه مسموم.

وقيل: إنَّه كان جالساً في علِّيَّة قصره بماسَبَذان مشرفٌ من منظرة، وكانت جاريتُه حَسَنةُ قد عمدت إلى كُمَّثرى فجعلته في صِينيَّة وسمَّت منه واحدة، وهي أحسنُه وأنضجه، ووضعتها في أَعلاه، وأرسلت به مع وصيفةٍ لها إلى جارية للمهديِّ كان يتحظَّاها، تريد بذلك قتلَها، وكان المهديُّ يُعجبه الكُمَّثرى، فلمَّا رأى الوصيفةَ دعا بها إليه وأخذ تلك الكُمَّثرى، فأكلها وصرخ: جوفي جوفي، فسمعت حَسَنةُ الصوت، فجاءت تلطِم وتقول: أردتُ أن أنفردَ بك فقتلتُك، وهلك من يومه.

وقال ابنُ عبدوس: كان المهديُّ قد بعث إبراهيمَ بن ذكوانَ الحرَّاني الأعورَ مع ابنه موسى إلى جُرجان، فغلب إبراهيمُ على موسى واختصَّ به، وبلغ المهديَّ عنه أشياءُ تزيَّد أعداؤه عليه فيها، فكتب إلى موسى يطلبه، فتعلَّل عليه، فكتب إليه المهديّ: لئن لم تبعثْ به إليَّ لأخلعنَّك من العهد، فلم يجد بدًّا أن بعث به إليه مكرّماً مع خادم له

(١) اختصر المؤلف الحكاية، انظرها في تاريخ دمشق والبداية والنهاية.

(٢) في تاريخه ٨/ ١٦٩.

(٣) اللبأ: أول اللبن في النتاج. مختار الصحاح (لبأ).

وقال: إذا قربتَ منه فقيِّده وألبِسه جبةَ صوف، واحمله على بعيرٍ بغير وطاءٍ ولا غطاء، وكان المهديُّ بماسَبَذان، فركب للصَّيد، وإذا بالخادم وإبراهيم، فقال: ما هذا؟ فقالوا: هذا إبراهيمُ ومعه خادمُ موسى، فقال: وما حاجتُنا إلى الصيد؟! وهل من صيدٍ أطيبُ من صيد إبراهيم! عليَّ به. قال: فأدنيت منه وهو على فرسه، فقال: إبراهيم؟ قلت: لبَّيك يا أميرَ المؤمنين، فقال: واللهِ لأقتلنَّك، قالها ثلاثاً، ثم قال للخادم: امضِ به إلى المضرب. قال: فيئستُ من الحياة، فلما صرتُ في المضرب أخذتُ في الصلاة والتضرُّع، وانصرف المهديُّ[1] فأكل من اللَّوزِينَج المشهورِ خبرُه، فمات من وقته وتخلَّصتُ.

وتوفِّي في المحرَّم، فقيل: لثمانٍ بقينَ منه ليلةَ الخميس، وقيل: ليلةَ الجمعة لسبعٍ بقين منه، وعاش ثلاثاً وأربعين سنة، وقيل: خمساً وأربعين سنة، ووُلد سنةَ تسعٍ وعشرين ومئة[2]، وقيل: سنةَ سبعٍ وعشرين ومئة، وقيل: وخمسةِ أيام، وصلَّى عليه هارون، وكان بجُرجان، ودُفن تحت جَوزة، وكان يجلس عندها.

ورثاه جماعةٌ، منهم بكَّار بنُ رباح، فقال: [من الطويل]

أَلا رَحِمَ[3] الرحمنُ في كلِّ ساعةٍ ... على رِمَّةٍ رمَّت بماسَبَذانِ
لقد غيَّب القبرُ الذي تمَّ سؤدَداً ... وكفَّينِ بالمعروف تبتدران

وقال سلم[4] الخاسر: [من الوافر]

وباكيةٍ على المهديِّ عَبرَى ... كأنَّ بها وما جنَّت جنونا
وقد خمشتْ محاسنَها وأبدت ... غدائرَها وأظهرت القرونا
لئن بليَ الخلافةَ بعد عشرٍ[5] ... لقد أبقى مساعيَ ما بَلينا
سلامُ الله غُدوةَ كلِّ يومٍ ... على المهديِّ حين ثوى رهينا

(١) في (خ): الهادي. والمثبت من الفرج بعد الشدة ٣/ ٣٢٨.
(٢) لم أقف على هذا القول. والذي بعده هو الصواب.
(٣) في تاريخ الطبري ٨/ ١٧١: رحمة.
(٤) في (خ): سالم، وهو خطأ، والمثبت من تاريخ الخلفاء ص٢٧٣، وسمط النجوم العوالي ٣/ ٢٦٨.
(٥) في تاريخ الخلفاء وسمط النجوم: عز.

تركنا الدِّينَ والدنيا جميعاً بحيث ثوى أميرُ المؤمنينا

وكانت الخَيزُران قد جاءت إلى ماسَبَذان في مئة قبَّةٍ من الدِّيباج، فأقامت عنده أياماً، فلمَّا عادت إلى بغدادَ أَلبست القِبابَ المُسوح، فقال أبو العتاهية: [من مجزوء الرمل]

رُحنَ في الوَشي وأصبحْ نَ عليهنَّ المُسُوحُ
كلُّ نطَّاحٍ من الدَّهـ ـرِ له يومٌ نَطوح
لَتموتنَّ ولو عُمـ ـمِرْتَ ما عُمِّر نُوح
فعلى نفسك نُحْ إنْ كنتَ لا بدَّ تنوح[1]

ذِكرُ أولاده:

كان له من الولد موسى الهادي، وهارونُ الرشيد، وعيسى [و][2] البانوقة، وأمُّهم الخَيْزُران، وهي بنتُ عطاء، وقيل: كانت جرشيةً مولاةَ المهدي، وإلى عيسى يُنسب عيسى باذ، وكان له عيسى آخر، وعُبيد الله، وأمُّهما رَيطة بنتُ أبي العباس السفَّاح، ومنصور، وأمُّه بنت الأَصْبَهْبَذ صاحبِ طَبَرِستان، ويقال: إنَّها وَلدت للمهديِّ العاليةَ وسليمةَ والعبَّاسةَ لأمٍّ ولد، ويعقوبَ وإسحاقَ لأمِّ ولد، وإبراهيم، وأمُّه شَكلة من سبي دُنْباوَند، ومن أولاد المهديِّ عليٌّ وعبدُ الله، فأما عليٌّ فحجَّ بالناس، وولي البصرة، وتوفِّي ببغداد، وأما عيسى فمات صغيراً، وأما عبيدُ[3] الله فولي إرمينيةَ والجزيرة، وأما منصورٌ فولي البصرة وفلسطين، وحجَّ بالناس في فتنة الأمين، ولم يدخل مع الأمينِ ولا مع المأمون، وأما العباسةُ فتزوَّجها هارونُ بن محمدِ بن سليمان، فمات عنها، فتزوَّجها إبراهيمُ بن صالحِ بن علي، وأما البانوقةُ فكان أبوها يحبُّها حبًّا شديداً، وكان لا يصبر عنها لحظةً واحدة، وكان يركب وهي بين يديه عليها قَباءٌ أسودُ وفي وسطها منطقة[4]، فتوفِّيت ببغدادَ في سنة خمسٍ وستين ومئة، فجزع عليها المهديُّ جزعاً لم

(١) رواية الديوان ص٩٩ :
نح على نفسك يا مسكين إن كنت تنوح

(٢) ما بين حاصرتين من أنساب الأشراف ٣/ ٣١٥، والمنتظم ٨/ ٢٠٦.

(٣) في (خ): عبد، والمثبت من أنساب الأشراف ٣/ ٣١٦.

(٤) غير واضحة في (خ)، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ١٨٦.

يجزعُه خليفةٌ على ابنةٍ قطّ، وجلس بنفسه للعزاء، وكتب إلى الآفاق، فقدم إليه المعزُّون الخطباءُ والشعراء، وأَنشدوه وعزَّوه، وقام شبيبُ بن شبةَ فقال: يا أميرَ المؤمنين، أعطاك اللهُ ما رُزئتَ به أجراً لها منك، وأحقُّ ما صُبر عليه ما لا سبيلَ إلى ردِّه، فتعزَّى المهدي.

ذِكر وزرائه وحُجَّابه وقضاته:

كان له من الوزراءِ أبو عبدِ الله معاويةُ بن عبدِ الله الأشعري، ويعقوبُ بن داودَ، والفيضُ بن أبي صالح، وفي الربيع بنِ يونسَ خلاف، وحاجبُه الفضلُ بن الربيع، وحجبه أبو الرَّبيع وسلَّامٌ الأبرش، وقاضيه عافيةُ بن يزيد ومحمدُ بن عبدِ الله بن عُلاثة وشريكُ بن عبدِ الله، ونَقشُ خاتَمه: العزُّ لله.

أَسند المهديُّ عن أبيه وجدِّه وشعبةَ وغيرِهم.

وقال الواقدي: خرج على المهديِّ خارجي، فخرج راكباً يستنفر الناسَ ويقول: حدَّثنا شعبةُ بن الحجَّاج، عن زياد بنِ عِلاقة، عن عَرْفَجةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن خرج على أُمَّتي وهم جميعٌ ليفرِّقَ بينهم، فاضرِبوا رأسَه بالسَّيف كائناً مَن كان»[1].

فصل: وفي الرُّواة مَن اسمُه محمدُ بن عبدِ الله جماعة، منهم:

محمدُ بن عبدِ الله بن رَزِين

أبو الشِّيص الشاعر. من بارع شعرِه يمدح هارونَ الرشيدَ عند ورود الخبرِ بهزيمة نقفور مَلِكِ الروم: [من الطويل]

شددتَ أميرَ المؤمنين قُوى المُلك ... صدعتَ بفتح الرُّوم أفئدةَ التُّركِ
قريتَ سيوفَ الله هامَ عدوِّه ... وطأطأتَ بالإِسلام ناصيةَ الشِّرك
فأصبحتَ مسروراً بفتحك ضاحكاً ... وأصبح نقفورٌ على مُلكه يبكي[2]

ومنهم

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٢) من طريق محمد بن جعفر عن شعبة، به. وأخرجه من طرق أخرى أيضاً.
(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥.

محمدُ بن عبدِ الله بن شُعيب

أبو بكرٍ الشاعر، مولى بني مخزوم، ويُعرف بالأُخيطل. كان ظريفاً مليحَ الشِّعر، فمنه: [من البسيط]

رياضُ شِعرٍ إذا ما الفكرُ أَمطرها ... فهماً تروَّى لها لبُّ الفتى الفَهِمِ
فما اقترابُ الهوى من عاشقٍ دَنِفٍ ... ألذُّ من ماء شِعرٍ جال في كَرَمِ[1]

ومنهم

محمدُ بن عبدِ الله بن يحيى

ابن الخبَّازة الحنبلي. له شِعرٌ في الزهد والرَّقائق، عاصر الإمامَ أحمد بنَ حنبلٍ رحمه الله تعالى، ومدحه ورثاه، وقال عبدُ الله بن الإمامِ أحمدَ رحمةُ الله عليه: كنتُ أَدعو ابنَ الخبازة، وكان أبي ينهى عن الشِّعر، فسمعه يوماً وهو يُنشد: [من الطويل]

إذا ما خلوتَ الدَّهرَ يوماً فلا تقلْ ... خلوتُ ولكن قل عليَّ رقيبُ[2]

قال عبدُ الله: فخرجتُ لأنظر، فإذا بأبي يترنَّح ذاهباً وجائياً، فقال: إذا كان مثلَ هذا فلا بأسَ به.

ومنهم

محمدُ بن عبدِ الله بن نُمَير البغدادي

روى عن الحارث بنِ الحَكَم قال: أَنزل اللهُ في بعض كتبه: أنا اللهُ لا إله إلَّا أنا، قضيتُ السُّوسَ على الطعام، ولولا ذلك لخزنه الملوكُ فغلت الأسعار، ولولا أني قضيت النَّتْنَ على الميِّت لحبسه أهلُه في البيوت، ولولا أني أَسكنت الأملَ القلوبَ لأَخربها الفكر.

انتهت سيرةُ المهديِّ رحمه الله.

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٤٢٦.

(٢) البيت في ديوان أبي نواس ص١٠٣، وأبي العتاهية ص٢١، والحماسة البصرية ٢/ ٤٧ منسوباً للحسن بن عمرو الإباضي، قال: وتروى لأبي محمد التيمي. والكلام في تاريخ بغداد ٣/ ٤٣٠. دون ذكر البيت.

محمدُ بن عبدِ الرحمن بنِ هشام

أبو خالد، القاضي المكِّي الأَوقص. ولي قضاءَ مكة، كان قصيراً دميماً جدًّا، وكان عُنقه داخلاً في بدنه، ومنكباه خارجان كأنهما زُجَّان، فكان الخصمُ إذا جلس بين يديه لا يزال يُرعَد إلى أن يقوم.

سمعتْه امرأةٌ يوماً وهو يقول: اللهمَّ أَعتِق رقبتي من النار، فقالت: وأيُّ رقبةٍ لك!

وقالت له أمُّه: يا بُني، إنك خُلقت خِلقةً لا تصلح معها لمعاشرة الفِتيان، فعليك بالدِّين والعلم، فإنهما يتمِّمان النَّقائص، ويرفعان الخسائس. قال: فنفعني اللهُ بما قالت، فتعلَّمتُ العلمَ حتى وليت القضاء.

أَسند عن خالد بنِ سَلَمةَ المخزومي وغيرِه، وروى عنه معنُ بن عيسى[1] وغيرُه.

نافعُ بن عبدِ الرحمن

ابن أبي نُعيم، المَديني القارئ، من الطبقة السادسةِ من أهل المدينة.

قال اللَّيث بنُ سعد: قدمت المدينةَ سنةَ عشرٍ ومئة[2]، فوجدتُ نافعاً إمامَ الناس في القراءة، لا يُنازَع فيها.

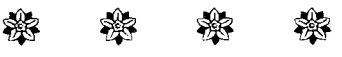

(١) في (خ): علي، وهو خطأ، والمثبت من المصادر، انظر تاريخ دمشق ٦٣/ ١١٠، وتاريخ الإسلام ٤/ ٥٠٩.

(٢) في تاريخ الإسلام ٤/ ٥٢٩: حججت سنة ثلاث عشرة ومئة.